

د. مديحة بنت إبراهيم بن عبدالله السدحان  
قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية للبنات بالرياض

## صفات المنافقين قبيل الحروب كما جاءت في القرآن الكريم

### ملخص البحث :

يتأكد في هذا الزمان الاهتمام بصفات المنافقين لأمر منها: ما تمر به الأمة اليوم من أخطار وحروب وما يعصف بها من أحداث وفتن كقطع الليل يعمى الإنسان فيها أن يسمع ويرى الحق إذا لم يكن معه علم شرعي يخرج منه بفقته ما ينبغي عليه عمله. علو أهل الباطل في كثير من المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية مما يسهل دخول كثير من المنافقين ضمن جند المسلمين. التقدم التقني الهائل والسريع الذي يساعد الخائن ويسهل أمره. سداجة بعض المؤمنين، وسرعة تقييمهم للأشخاص بمجرد ما يرونه من ظاهرهم. ولهذا رأيت أن الكتابة في هذا الموضوع من أهم المهمات، وقد جاء البحث في فصلين: الفصل الأول: تعريف النفاق، وأنواعه، وخطورته، وأشهر صفات المنافقين إجمالاً، وفيه أربعة مباحث، الفصل الثاني: صفات المنافقين قبيل الحروب وفيه أربعة عشر مبحثاً. وقد انتهى البحث إلى العديد من النتائج من أهمها: بيان خطورة النفاق، والتحذير منه. أهمية أخذ العبرة من التاريخ ففيه بيان كيد هؤلاء المنافقين، وتعاونهم مع أعداء المسلمين وكثرة هذه الوقائع تدل على كثرة من يفتروا بهم من المسلمين. تحذير قادة المسلمين، وقادة جيوشهم في كل زمان ومكان من المنافقين، ولو كان من سبقنا يعلم كيد المنافقين الذي حل بهم، ما قربوهم ولا تابعوهم، والحكمة تستدعي أخذ العظة من التاريخ. وضوح صفات المنافقين أزمته الحروب، وهذا من رحمة الله سبحانه، فالحاجة لمعرفةهم في أزمته الحروب تشتد ليحذر منهم تحقيقاً لمصلحة البلاد والعباد.

7

1

1

1

### مقدمة :

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد :

فقد أرسل الله رسوله محمداً ﷺ إلينا فانقسم الناس تجاه دعوته إلى ثلاثة أقسام: مؤمن به، وكافر معاند، ومنافق آمن بلسانه وكفر بقلبه، فهو يتظاهر بالإسلام لكن أقواله وأعماله تضاد الإسلام وأحكامه.

وهذا الصنف الثالث هو العدو الحقيقي الذي حذرنا الله منه قال تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ﴾<sup>(١)</sup>، فحصر العداوة فيهم لبيان أولويتهم في هذه العداوة، ولهذا وجب على المسلمين جميعاً أن يجعلوهم أول اهتماماتهم، وأن يعلموا أن من أعظم الواجبات عليهم مجاهدتهم؛ لأنهم أخطر مصيبة حلت بالمسلمين قديماً وحديثاً، والمتأمل للتاريخ يجد للمنافقين دوراً خطيراً في كل عصر من عصوره خاصة في أزمنة الحروب؛ فخياناتهم وتعاونهم مع أعداء المسلمين المحاربين يشهد لها التاريخ، وسنة الله ماضية في استمرار الحروب بين أهل الحق والباطل، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾<sup>(٢)</sup>، فأعداء الله لا يألون جهداً في حرب الإسلام وأهله، وأمة الإسلام وبفضل الله لم تزل وستستمر بحول الله في مدافعة ما يكاد لها مما يخططه أعداؤها ومن يوالونهم من المنافقين، لكن طبيعة عمل هؤلاء المنافقين وهو الخيانة يستلزم التخفي

(١) سورة المنافقون، الآية (٤).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢١٧).

والتستر فهم يفسدون سراً ويظهرون الإسلام والإصلاح، ولهم براعة في الكلام إن يقولوا تسمع لقولهم، لهذا كان من الواجب التحذير منهم وكشف أستارهم، وبيان صفاتهم حتى يُعرفوا بها، وبخاصة تلك الصفات التي يعرف بها عقائدهم ونفاقهم قبيل الحروب، ليتم الحذر منهم قبل مقابلة الأعداء فإنهم قوم سوء، لا يقام لهم وزن، ولا يحسب لهم حساب، بل إنهم قوة في جانب الأعداء. ولطول الموضوع وتشعبه اكتفيت بما ورد في ذلك في القرآن الكريم لأهميته وتأكد الاعتناء به.

وفي هذا الزمن يتأكد الاهتمام بصفات المنافقين لأمر منها:

١- ما تمر به الأمة اليوم من أخطار وحروب وما يعصف بها من أحداث وفتن كقطع الليل يعمى الإنسان فيها أن يسمع ويرى الحق إذا لم يكن معه علم شرعي يخرج منه بفقاه ما ينبغي عليه عمله ويأخذ العبر والعظات من التاريخ.

٢- علو أهل الباطل في كثير من المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية مما يسهل دخول كثير من المنافقين ضمن جند المسلمين.

٣- التقدم التقني الهائل والسريع الذي يساعد الخائن ويسهل أمره والأعين قلما تراقبه.

٤- سذاجة بعض المؤمنين، وسرعة تقييمهم للأشخاص بمجرد ما يرونه من ظاهرهم.

ولهذا رأيت أن الكتابة في هذا الموضوع من أهم المهمات، أسأل الله أن يجعلني ممن تفقه في دينه لينذر قومه لعلهم يحذرون، وحسب علمي فإنني لم أجد أحداً كتب في هذا الموضوع بهذه الصورة وأفرده مع شدة الحاجة إليه.

#### خطة البحث:

أتبع هذه المقدمة بتقسيم البحث إلى فصلين، وخاتمة.

**الفصل الأول:** تعريف النفاق، وأنواعه، وخطورته، وأشهر صفات المنافقين

إجمالاً، وفيه أربعة مباحث هي:

**المبحث الأول:** تعريف النفاق لغة واصطلاحاً.

**المبحث الثاني:** أنواع النفاق.

**المبحث الثالث:** خطورة النفاق.

**المبحث الرابع:** أشهر صفات المنافقين إجمالاً.

**الفصل الثاني:** صفات المنافقين قبيل الحروب وفيه أربعة عشر مبحثاً هي:

**المبحث الأول:** كراهية الجهاد وظهور عبارات التذمر من الإلزام به.

**المبحث الثاني:** التخلف عن الجهاد بإذن، أو بدون إذن.

**المبحث الثالث:** تخذيل المسلمين عن القتال وتثيبتهم.

**المبحث الرابع:** الخوف والهلع عند ذكر نية القتال، وظهور علاماته عليهم.

**المبحث الخامس:** ادعاء الطاعة عند الأمر بالقتال مع العمل بخلافها.

**المبحث السادس:** الرغبة في الخروج مع المسلمين إن علموا أن القتال يسير طمعاً في الغنيمة.

**المبحث السابع:** سوء الظن بالله.

**المبحث الثامن:** توقع انتصار الكفار وهلاك المسلمين، وانتظار ذلك.

**المبحث التاسع:** لمز المؤمنين والاستهزاء بهم وبما يعدونه للقتال من نفقة.

**المبحث العاشر:** إفشاء أسرار المؤمنين الحربية.

**المبحث الحادي عشر:** إثارة القلاقل والخصومات بين أفراد الجيش.

**المبحث الثاني عشر:** عدم الاستعداد للخروج للقتال.

**المبحث الثالث عشر:** الشح والبخل بالأموال والأنفس والممتلكات،

ومنع المسلمين من الاستفادة منها.

المبحث الرابع عشر: موالاة الكفار عامة، واليهود خاصة، ومحبتهم  
والمسارعة فيهم.

الخاتمة: وفيها أهم ما توصلت إليه من نتائج.

هذا وأسأل الله أن يؤلف بين قلوب المؤمنين ويجعلهم يداً واحدة على عدوهم، وأن  
يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم إنه سميع مجيب.

\* \* \*

## الفصل الأول: تعريف النفاق، وأنواعه، وخطورته، وأسبابه، وأشهر صفات المنافقين إجمالاً:

وفيه أربعة مباحث هي:

المبحث الأول: تعريف النفاق لغةً واصطلاحاً:

النفاق في اللغة:

النفاق فعل المنافق يقال: نافر ينافق منافقة ونفاقاً، أما أصله فقد اختلف فيه على قولين، فقيل: إنه مأخوذ من النفق؛ لأن المنافق يستركفره، فهو كمن يدخل النفق يستتر فيه.

وقيل: إنه مأخوذ من نافقاء اليربوع أي جحره، فإنه يحرق الأرض حتى إذا كاد أن يبلغ ظاهر الأرض ترك قشرة رقيقة حتى لا يعرف مكان هذا المخرج، فإذا رابه ريب دفع تلك القشرة برأسه فخرج، ومنه اشتقاق النفاق لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر، فكأن الإيمان يخرج منه، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء. وظاهر جحر اليربوع تراب كالأرض وهو في الحقيقة جفرة. وكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر<sup>(١)</sup>.

النفاق في الاصطلاح:

هو ستر الكفر وإظهار الإسلام.

وقد يسمى المنافق زنديقاً كما يفعله بعض الفقهاء<sup>(٢)</sup>، وقد يسمى النفاق الاعتقادي وهو النفاق الأكبر كما سيأتي.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٥٤/٥ و ٤٥٥)، والنهية لابن الأثير (٩٨/٥)، ولسان العرب

(٤٥٠٨/٨)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (١١٩٦) مادة (نق).

(٢) انظر: الإيمان الأوسط لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (٤٧١/٧)، وطريق الهجرتين لابن القيم (٣٧٤).

## المبحث الثاني: أنواع النفاق:

ينقسم النفاق إلى قسمين:

أحدهما: النفاق الأكبر، وهو النفاق الاعتقادي، أي في أصل الدين، وهو مخرج من الإسلام، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، وعمامة الآيات القرآنية يقصد بها هذا المعنى<sup>(١)</sup>.

والثاني: النفاق الأصغر، وهو النفاق العملي أي النفاق في فروع الدين، وهو دون الكفر، لكنه اختلاف بين السريرة والعلانية<sup>(٢)</sup>، فمن أظهر أنه صادق أو موفٍ أو أمين وأبطن الكذب والغدر والخيانة ونحو ذلك، فهذا هو النفاق الأصغر الذي يكون صاحبه فاسقاً، لا يبطن في قلبه كفرةً وشكاً وتكذيباً يخفيه عن الناس، ويظهر إسلاماً لا حقيقة له. وهذا النوع من النفاق جاءت به السنة. والأصل فيه ما ثبت في الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو وأبي هريرة وغيرهما من الصحابة - رضي الله عنهم - في ذكر آية المنافق فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»<sup>(٣)</sup>.

وعن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فهي خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: النفاق وأثره، د. عادل الشدي ص(٤٦).

(٢) أشار إلى هذا الاختلاف في أنواع النفاق أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن (٩٨٣/٢)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥٢٤/٧)، و(١٤٠/١١ و ١٤٣)، وابن القيم في مدارج السالكين (٣٧٦/١)، وابن رجب في جامع العلوم والحكم (٣٧٥)، وابن حجر في فتح الباري (٨٩/١)، وهو مروى عن الحسن البصري ذكر ذلك الترمذي في سننه، كتاب الإيمان (٢٠/٥).

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان (٨٩/١)، ومسلم في كتاب الإيمان (٧٨/١) رقم (٥٩).

(٤) رواه البخاري في الإيمان (٨٩/١)، ومسلم في الإيمان (٧٨/١)، رقم (٥٨).



فهذه كلها أعمال إذا كان فاعلها مؤمناً بالله وحده قد سلم اعتقاده مما يخرج من الدين فنفاقه نفاق أصغر، وهذه الخصال قد توجد في المسلم الصادق الذي ليس فيه شك. قال النووي -رحمه الله- (ت ٦٧٦هـ) عند شرح هذا الحديث: « وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقاً بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد في النار فإن إخوة يوسف -عليه السلام- جمعوا هذه الخصال»<sup>(١)</sup>، وهذا النفاق الأصغر هو النفاق الذي كان يخافه السلف على نفوسهم<sup>(٢)</sup>.

قال ابن أبي مليكة<sup>(٣)</sup>: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه<sup>(٤)</sup>، قال ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): « والصحابة الذين أدركهم ابن أبي مليكة من أجلهم عائشة وأختها أسماء وأم سلمة والعبادلة الأربعة وأبوهريرة...، وقد أدرك بالسن جماعة أجل من هؤلاء كعلي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص. وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك، فكأنه إجماع، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم، بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى -ﷺ-»<sup>(٥)</sup>.

فخوفهم كان من النفاق الأصغر لا الأكبر، لأنه لا يعقل أن يكون النفاق الذي خافه أولئك الصحابة هو إبطان الكفر، فإنهم يعلمون من أنفسهم أنهم لا يبتغون كفرة، وقد

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٤٧/٢ و ٤٧).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٢٨/٧)، وفتح الباري (١١١/١).

(٣) هو عبدالله بن عبدالله بن أبي مليكة مكي تابعي ثقة رأى ثمانين من الصحابة، ولاء ابن الزبير -ﷺ- قضاء الطائف، وكان مؤدناً له، من العباد الزهاد، روى عن جماعة من الصحابة وكان كثير الحديث. توفي سنة (١١٧هـ).

انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣١٤/٩)، وتهذيب التهذيب (٣٠٦/٥).

(٤) رواه البخاري معلقاً في صحيحه كتاب الإيمان (١٠٩/١).

(٥) فتح الباري (١١٠/١ و ١١١).

زكاهم الله وأثنى عليهم فهم يعلمون براءتهم من هذا النفاق المخرج من الإسلام، فتعين أن يكون مقصودهم النفاق الأصغر.

### المبحث الثالث: خطورة النفاق:

إن أكبر خطر تهددت به الأمة الإسلامية على مر العصور هو النفاق، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ هُمْ أَلْعَدُوُّ فَأَحْذَرْتُمُ ﴾<sup>(١)</sup>، والحصص في الآية لبيان أولويتهم في العداوة، ولهذا كان مصيرهم يوم القيامة أسوأ مصير في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم شر من الكفار الصريح، فبلية المؤمنين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين؛ لأنهم يتخفون ولا يظهرون ما يعتقدون، يعملون في الخفاء، ويظهرون لباس الإخوان والأصدقاء فهم مستأمنون لا يحسب لهم حساب ولا يراقبون ولا يحترز منهم إلا القليل من المؤمنين، والعدو المخالط المداخل المساكن أخطر وأشد كيداً من العدو الظاهر البعيد، فهم أخطر من الجيوش العسكرية، والانحرافات الفكرية لأن أصحابها أعداء معروفون واضحون لا يقبل كثير من الناس أقوالهم.

وقد جاء عن رسول الله ﷺ قوله: « إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان »<sup>(٢)</sup>.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أخطر المصائب في تاريخ الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً عن طريق المنافقين، ولا نكاد نرى عصراً من عصور تاريخ المسلمين إلا ونجد للمنافقين فيه دوراً خطيراً، فقد أفسدوا عقائد كثير من الناس، والمتتبع لجذور

(١) سورة المنافقون، الآية (٤).

(٢) رواه أحمد (٢٢/١)، والفريابي في صفة النفاق ص (٥٢) رقم (٢٣ و٢٤)، وابن حبان في صحيحه (١٤٨/١)، والطبراني في الكبير (٢٣٧/١٨)، قال البيهقي في الزوائد (١٩٢/١): « رواه الطبراني في الكبير والبخاري ورجالهم رجال الصحيح ». وذكر نحوه عن البزار وأحمد وأبي يعلى وقال: « رجاله موقوفون ». وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤/٢) رقم (١٥٥٠).

الانحراف العقدي في تاريخ المسلمين يجد المنافقين وراءه، ومن أبرز الأمثلة في ذلك فرقة السبأية التي وضع أسسها المنافق اليهودي عبدالله بن سبأ الذي أظهر الإسلام في عهد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وأخذ يطوف البلاد الإسلامية ينشر معتقده، وقد لبس على العامة في زمن كان فيه كثير من الصحابة، حتى إن بعض أتباعه هددهم عليّ - رضي الله عنه - بالموت حرقاً إن لم يرجعوا عن هذه العقيدة الضالة، فأصروا وفضلوا الموت على الرجوع عن ضلالهم، وقد كان من نتيجة فتنة عبدالله بن سبأ مقتل الخليفة الثالث الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه -<sup>(١)</sup>.

وكان سقوط بغداد مركز الخلافة الإسلامية العباسية عام (٦٥٦هـ) على يد المنافق الخبيث ابن العلقمي<sup>(٢)</sup> الرافضي الذي تعاون مع التتار الذين قتلوا جميع من يقدرون عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والشبان حتى بلغوا مليون قتيل، وقد كان ابن العلقمي وزيراً عند الخليفة المستعصم يظهر الولاء والنصرة، له فضل في الإنشاء والأدب لكنه كان منافقاً يضم الحقد على الإسلام وأهله، كاتب التتار وزين لهم اجتياح بغداد، وكان ذلك بعد أن سرح الجند وصرف الجيوش عن بغداد حتى لم يبق

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبيهقي (٢٢٥)، والفصل لابن حزم (٢٧٤/٢)، ومختصر منهاج السنة لابن

تيمية اختصره عبدالله الغنيمان (١٣/١)، وفتح الباري (٢٧٠/١٢).

(٢) هو محمد بن محمد بن علي بن أبي طالب بن العلقمي، البغدادي، الرافضي، وزير لخليفة العباسي المستعصم بالله، وكانت دولته أربع عشرة سنة فأشقى فيها الرافض، فعارضه أهل السنة وأكبت. فحقد عليهم، ورأى أن هولاء ملك التتار يقصد العراق فكاتبه، وقوى عزمه على قصد بغداد عاصمة الخلافة، واجتهد في صرف الجيوش عن بغداد فلم يبق فيها إلا عشرة آلاف بعد أن كانوا مئة ألف. فدخل هولاء بغداد فأفسدها وقتل أهلها ومنهم الخليفة المستعصم وكان سنياً على مذهب السلف لكن فيه لين وعدم تيقظ، وأذل ابن العلقمي وأذقه الهوان، فمات غمّاً وغيباً وحزناً بعد هذه الحادثة بثلاثة أشهر عام ٦٥٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦١/٢٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٩٦/١٣).

منهم إلا عشرة آلاف ثم أرسل إلى التتار يسهل عليهم أمر اجتياح المدينة فقدموا وحدث ما حدث<sup>(١)</sup>.

والأمثلة كثيرة جداً ولهذا كان الواجب التحذير من النفاق، وبيان صفات أهله، وكشف جهودهم في هدم الإسلام وخدمة أعدائه وموالاتهم وتنفيذ مخططاتهم.

#### المبحث الرابع: أشهر صفات المنافقين إجمالاً:

المنافق في حقيقته كافر يحقد على الإسلام وأهله، ويكيد لهم، ويتمنى زوال دولتهم، وقد حذرنا الله منهم، وأخذ الحذر لا يمكن إلا بمعرفة صفاتهم لأنهم لا يعلنون كفرهم ولكنهم يُعرفون بما يجري على فلتات ألسنتهم وما يظهر من أفعالهم، وقد فضحهم الله سبحانه في أكثر من موضع من كتابه، وذكر أوصافهم فعراًهم وأخزاهم وقد كانت عامة السور المدنية يذكر فيها المنافقون<sup>(٢)</sup>. وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم وصفهم وحذر منهم.

وصفات المنافقين تنقسم إلى قسمين:

أولاً: صفات تظهر في زمن السلم والحرب.

ثانياً: صفات تظهر في أزمته الحروب.

أما الصفات التي تظهر أزمته السلم والحرب فأشهرها ما يلي:

- ١- الكذب.
- ٢- إخلاف الوعد.
- ٣- خيانة الأمانة.
- ٤- الفجور في الخصومة.
- ٥- موالات الكفار، ومعاداة المؤمنين.

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٣/٢٠٠ وما بعدها).

(٢) قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، انظر مجموع فتاواه (٤٦٣/٧).

- ٦- الكيد للمسلمين وخداعهم.
- ٧- الاستهزاء بالله وبرسوله وبالمؤمنين.
- ٨- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.
- ٩- إظهار الإصلاح والحرص على المصلحة العامة مع الإفساد في الأرض، ومحبة نشر الفاحشة والزنا بين المؤمنين، والاهتمام بقضايا تحرير المرأة ونحوها لهذا الغرض.
- ١٠- إفساد الحرث والنسل.
- ١١- كثرة الحلف، وعامته كذب.
- ١٢- التحاكم إلى القوانين الوضعية، إلا إذا علم أن حكم الشرع معه.
- ١٣- التكاسل عن الصلاة.
- ١٤- قلة ذكر الله.
- ١٥- الاستكبار عن قبول الحق وعدم التوبة.
- ١٦- اعتدادهم بأنفسهم وازدراؤهم للمصالحين.
- ١٧- السفه وقلة العلم الشرعي.
- ١٨- البخل عن الصدقات.
- ١٩- حسن المظهر وذلاقة اللسان وزخرفة القول.

وللمنافقين صفات تظهر قبيل الحروب هي موضوع الفصل الثاني من هذا البحث، والله أعلم.

\* \* \*

## الفصل الثاني: صفات المنافقين قبيل الحروب:

وفيه أربعة عشر مبحثاً وهي:

المبحث الأول: كراهية الجهاد وظهور عبارات التذمر من الإلزام به، وظهور الفرح عليهم عند التخلف:

المنافقون فئة تجري وراء ما تظن أن الخير فيه، لكنها لا تؤمن بالله، فهي لا تعلم أين هذا الخير؟ مع المؤمنين أم مع أعدائهم الذين يحاربونهم؟ فتراهم مذبحين لا يدرون إلى أين يذهبون إلى هؤلاء أم إلى هؤلاء، فإذا وقعت المعركة أسقط في أيديهم؛ لأنهم يحبون الحياة حباً مفرطاً، ويكرهون الموت كرهاً مفرطاً، ولو كان الأمر إليهم لسعوا جرياً وراء الحلول السلمية، والمفاوضات السياسية، أما خيار الحرب فلا يوضع في حساباتهم مهما كلف الأمر من المهانة وضياع الديار واحدة واحدة، وإذا كان الأمر ليس إليهم فإنهم إذا سمعوا ذكر القتال والحرب والدعوة للجهاد كرهوه وظهرت على ألسنتهم عبارات التذمر منه، وطفحت نفوسهم بالاعتراض على قضائه سبحانه الذي لا يسأل عما يفعل، وقد قص الله علينا حالهم وحكى قولهم لما أُلزموا بالقتال: ربنا لم كتبت علينا القتال؟ لولا أخرجتنا إلى أجل قريب، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ

كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ

قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾<sup>(١)</sup>

فكراهية المنافقين للقتال آثارها تظهر على ألسنتهم، فإذا جاء الأمر بالقتال وأُلزموا به يقولون في حسرة وخوف وجزع: ربنا لما كتبت علينا القتال؟ ومن يتأمل قولهم هذا يعرف أنهم لا يعلمون مهمة هذا الدين في الأرض، فهم يخشون الموت ويريدون الحياة،

(١) سورة النساء، الآية (٧٧).

وكيف يكون التناسق والتلاحم بين هؤلاء، والمجاهدين بقلوب مطمئنة ثابتة ونفوس واثقة متحمسة لفضل الله؟

وقولهم لولا أخرتنا إلى أجل قريب: يعني الموت أي هلا تركتنا نموت بأجالنا<sup>(١)</sup>. وقد قال هذا القول قوم من المنافقين ابتداءً، وقيل قاله بعض المؤمنين الذين نافقوا لما فرض عليهم القتال نافقوا جبناً وتخلفوا عن الجهاد<sup>(٢)</sup>.

وذهب بعض المفسرين إلى أن من قاله هم جماعة من المؤمنين لم يكونوا راسخين في العلم قالوه جبناً وخوفاً لا اعتقاداً، ثم تابوا<sup>(٣)</sup>، فالخشية خوف طبع ولم يكن لشك في الدين أو رغبة عنه ولكن نفور عن الأخطار وخوف من الموت، فالمرء مجبول على كراهية ما فيه خوف هلاكه غالباً. والسؤال: لم كتبت علينا القتال. سؤال عن الحكمة لا على سبيل الاعتراض<sup>(٤)</sup>، لكن سياق الآيات يرجح قول من قال إنها نزلت في المنافقين سواء كان نفاقهم قديماً أم حادثاً؛ لأن الآيات التي قبلها وبعدها تتحدث عنهم، قال تعالى في الآيات التي قبلها: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۝٦١﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَغِيَ فَبِإِنْ أَصْنَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ۝٦٢﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله في الآيات التي بعدها: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ

(١) انظر تفسير الطبري (١٧١/٥) المجلد الرابع، والبغوي (٤٥٣/١).

(٢) انظر تفسير البغوي (٤٥٥/١).

(٣) انظر تفسير الطبري (١٧١/٥)، وابن كثير (٥٢٧/١).

(٤) انظر تفسير النسفي (٢٣٧/١).

(٥) سورة النساء، الآية (٦١).

(٦) سورة النساء، الآية (٧٢).

الَّذِي تَقُولُ ﴿<sup>(١)</sup>﴾ ، وقوله ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْأَنْفِيقِينَ فِئْتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾ ﴿<sup>(٢)</sup>﴾ .

وكل هذه الآيات نزلت في المنافقين. والمؤمن لا يليق به أن يقول لربه (لم كتبت علينا القتال) وهو يرى تسلط الكفار على المؤمنين.

والمثال الآخر على كراهية المنافقين للجهاد ما حدث يوم الحديبية<sup>(٣)</sup> لما بلغ رسول الله ﷺ أن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قتل ، قال : لئن كانوا قتلوه لأناجزهم فدعا الناس إلى البيعة فبايعوه ﷺ على القتل ولم يتخلف عن بيعة رسول الله ﷺ أحد من المسلمين حضرها إلا الجند بن قيس<sup>(٤)</sup> ، وكان منافقاً ، قال جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - : والله لكأني أنظر إليه لاصق بإبط ناقة رسول الله ﷺ يستتر بها من الناس ، وما تخلف هذا المنافق عن البيعة إلا كراهية للقتال وتذمراً منه<sup>(٥)</sup> .

وفي موضع آخر من كتاب الله يذكر سبحانه كراهية المنافقين للجهاد وفرحهم إذا تخلفوا عنه ، فيقول سبحانه : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ ﴿<sup>(٦)</sup>﴾ ، وقد نزلت هذه الآيات في المنافقين المتخلفين عن غزوة

(١) سورة النساء ، الآية (٨١).

(٢) سورة النساء ، الآية (٨٨).

(٣) الحديبية : اسم بئر بقرية سميت به قرب مكة ، وفي هذا الموضع كان أمر الحديبية سنة ٦ هـ. انظر السيرة لابن هشام (٣/٣٢١) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٤/١٦٤).

(٤) هو جد بن قيس الأنصاري سيد بني سلمة قبل الإسلام ، كان منافقاً ، تخلف عن البيعة يوم الحديبية ، وعن تبوك ، وقيل : إنه تاب وحسنت توبته ، مات في خلافة عثمان - رضي الله عنه .

انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/٢٥٤) ، والإصابة لابن حجر (١/٢٣٠).

(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٤/١٣٥).

(٦) سورة التوبة ، الآية (٨١).



تبوك<sup>(١)</sup> الذين كرهوا أن يجاهدوا في سبيل دين الله الذي شرعه لعباده لينصروه ، وقعد بهم ضعف الهمة ومرض القلب ، ومالوا إلى الدعة وآثروا الراحة الرخيصة على التعب والمشقة ، وشحوا بأموالهم وبخلوا بها أن ينفقوها في طاعة الله ، وقد كانت هذه الغزوة في زمان عسرة من الناس وجذب من البلاد وشدة من الحر حين أخرفت النخل وطابت الثمار ، فعظم على بعض الناس غزو الروم وأحبوا الظلال والإقامة في المساكن والمال ، وشق عليهم الخروج إلى القتال<sup>(٢)</sup>.

وفي سورة محمد يقول الله سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) في تفسيره أنه يعني الذين كرهوا ما أنزل الله من الأمر بقتال أهل الشرك من المنافقين ، فالقائلون هم اليهود ، والذين كرهوا ما أنزل الله المنافقون<sup>(٤)</sup> ، وإن كان في تفسير الآية أقوال أخر والله أعلم.

### المبحث الثاني: التخلف عن الجهاد بإذن أو بدون إذن:

ذكر الله هذه الصفة للمنافقين في مواضع كثيرة من كتابه يبين بها جبن هؤلاء وخورهم ، وفرارهم من القتال ، وحبهم للحياة وأبرز هذه الأمثلة ما فعله عبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين يوم أحد<sup>(٥)</sup> حين خرج مع رسول الله ﷺ فلما وصل هو

(١) روى ذلك الطبري في تفسيره (٢٠١/١) ، المجلد السادس ، وقد كانت غزوة تبوك في رجب سنة تسع من

الهجرة. انظر السيرة النبوية لابن هشام (١٥٩/٤) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٢/٥).

(٢) انظر الطبري (٢٠١/٢٦) المجلد (١٣) ، وأسباب النزول للواحدي (٢٤٦).

(٣) سورة محمد ، الآية (٢٦).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٣٩/٥).

(٥) غزوة أحد كانت في شوال سنة ثلاث من الهجرة. انظر السيرة النبوية لابن هشام (٦٤/٣) ، والبداية

والنهاية لابن كثير (٩/٤).

وأصحابه إلى مكان بين أحد والمدينة خذلوا المؤمنين وانخزل - أي انفرد - بثلاث الجيش، وكان عدد المشركين يومئذ ثلاثة آلاف رجل، والمسلمين سبع مئة رجل<sup>(١)</sup> بعد تخلف المنافقين، ولما قال لهم عبدالله بن عمرو بن حرام: يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عند من حضر من عدوهم تعللوا قائلين: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكننا لا نرى أنه يكون قتال<sup>(٢)</sup>، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ومعنى "أو ادفعوا": أي كثروا سواد المسلمين فإنكم إذا كثرتم دفعتم العدو إن لم يكن قتال، وقيل معناها: رابطوا إن لم تقاتلوا<sup>(٤)</sup>. وقيل: قاتلوا دفعاً عن أنفسكم وأهلكم وأموالكم إن لم تقاتلوا للأخرة<sup>(٥)</sup>.

والمنافقون يكذبون بمقاتلتهم هذه: (لو نعلم قتالاً لاتبعناكم) فإنهم يعلمون أن المشركين قد جاءوا من بلادهم وتحملوا مشاق السفر وهم يحترقون على المسلمين بسبب ما أصاب أشرافهم يوم بدر، وعددهم أضعاف المسلمين، فهم يعلمون أنه كائن بينهم قتال لا محالة، ولهذا قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾، كما ذكر سبحانه هذا التخلف عن غزوة أحد في سورة النساء في قوله

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٧٠/٣)، ودلائل النبوة للبيهقي (٢٢٠/٣).

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة (٦٨/٣، ١٢٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٦٨/٤) المجلد الثالث.

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٦٧).

(٤) انظر الطبري (١٦٨/٤) المجلد الثالث، والبقوي (٣٦٩/١)، وابن كثير (٤٢٦/١).

والرواية أخرجهما الطبري في هذا الموضع، ونحوها عند إسحاق بن راهويه كما في المطالب العالية (٢١٩/٤).

(٥) تفسير النسفي (١٩٣/١).

سبحانه: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي النَّسْفِيقِينَ فَفْتَنَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾<sup>(١)</sup>.

والآية نزلت - كما قال جمع من المفسرين - في عبدالله بن أبي ومن معه الذين انسحبوا من الجيش يوم أحد فكان أصحاب رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة تقول: نقتلهم لأنهم منافقون، وفرقة تقول: لا نقتلهم لأنهم تكلموا بالإسلام، فنزلت الآية<sup>(٢)</sup>.

أما غزوة تبوك فقد شهدت تحلف كثير من المنافقين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنباً وإيثاراً للراحة، فجاءت آيات كثيرة في سورة التوبة تبين حال هؤلاء، يقول تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ وَسَيَّخِلُفُوتُ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُبَلِّغُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢٦﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ إِنَّمَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَزَاتَبَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿١٣٠﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا لِحُلُلِكُمْ بِتَبَعُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٣١﴾ لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿١٣٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذَّنَ لِي وَلَا

(١) سورة النساء، الآية (٨٨).

(٢) رواه البخاري في المغازي (٣٥٦/٧)، وفي التفسير (٢٥٦/٨)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين

(٢١٤٢/٤) رقم (٢٧٧٦).

تَفَتَنِي<sup>٤</sup> أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا<sup>٥</sup> وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١١﴾ إِنَّ تُصِبَّكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ<sup>٦</sup> وَإِنْ تُصِبَّكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرُحُونَ ﴿١٢﴾<sup>(١)</sup>، فقد أعلم الله نبيه في هذه الآيات بأن من علامات المنافقين التي بها يعرفون تخلفهم عن الجهاد في سبيل الله باستئذانهم رسول الله ﷺ في ترك الخروج معه إذا طلب منهم الخروج مع ما يصاحب هذا الاستئذان من المعاذير المختلقة الكاذبة.

يقول سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ أي: غنيمة حاضرة قريبة مأمونة العواقب، وسفرًا قاصدًا: أي موضعًا سهلاً قريباً هيناً لاتبعوك وساروا معك، ولكن بعدت عليهم الشقة أي المسافة إلى تبوك، والشقة السفر البعيد سمي بذلك لأنه يشق على الإنسان، وكانت غزوة تبوك في مكان بعيد وفي زمن الصيف الحار، فلما رأى المنافقون ذلك جاءوا يخلفون أنهم لا يستطيعون الخروج، فهم معذرون لضعفهم، قال تعالى: ﴿وَسَخِلْفُورٌ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ أي لو كان لنا سعة في الظهر والمال ﴿يَلْكُونُ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: بالكذب والتفاق، فهم كاذبون في أعذارهم؛ لأنهم كانوا يطبقون الخروج بما لديهم من مال وقوة في الأبدان، وكان بعضهم إذا أراد التخلف يأتي رسول الله ﷺ يطلب منه الإذن فلما أذن لهم رسول الله ﷺ عاتبه الله فقال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ أي عفا الله عنك ما كان منك في إذنتك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك في ترك الخروج معك وفي التخلف عنك من قبل أن تعلم الذين صدقوا وتعلم الكاذبين، ومعنى لم أذنت لهم: أي لأي شيء أذنت لهم، يقول سبحانه ما كان ينبغي لك أن تأذن لهم في التخلف عنك حتى تعرف من له العذر ومن لا عذر له، وحتى تعلم الصادق منهم في إظهار طاعتك من الكاذب، فإن منهم من كان مصرًا على القعود عن

(١) سورة التوبة، الآيات (٤٢ - ٥٠).

الغزو وإن لم تأذن له فيه، وقال بعضهم: نستأذن في الجلوس، فإن أذن لنا جلسنا، وإن لم يؤذن لنا جلسنا.

وذكر البغوي (ت ٥١٦هـ) عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه قال: «لم يكن رسول الله ﷺ يعرف المنافقين حينئذ»<sup>(١)</sup>. كما ذكر ذلك القرطبي (ت ٦٧١هـ) في تفسيره وزاد: وإنما عرفهم بعد نزول سورة التوبة<sup>(٢)</sup>، ثم قال سبحانه: ﴿لَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٣)</sup> أي أن علامة المنافق التخلف عن الجهاد، فلا تأذن لهم يا محمد إذا لم يكن لهم عذر فإنه لا يستأذنك في القعود ولا في الخروج إلا منافق، أما المؤمن فإنه إذا أمرته بشيء ابتدره. فكان الاستئذان في ذلك الوقت من علامات النفاق.

قال ابن عباس: هذا تعبير للمنافقين حين استأذنوا في القعود عن الجهاد من غير عذر<sup>(٤)</sup>.

﴿إِنَّمَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾<sup>(٥)</sup> أي الذين يستأذنون في القعود عن الجهاد من غير عذر لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يرجون ثواب الله في الآخرة على أعمالهم، وارتابت قلوبهم: أي شكّت في صحة ما جئتهم به فهم في ريبهم يترددون: أي في شكهم يذهبون ويرجعون وفي ظلمة الحيرة مترددون لا يعرفون حقاً من باطل، ثم بين سبحانه - وهو مطلع على خفايا النفوس - حقيقة المنافقين في هذا الأمر بقوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ

(١) تفسير البغوي (٢/٢٩٧).

(٢) تفسير القرطبي (٨/٩٩).

(٣) سورة التوبة، الآية (٤٤).

(٤) نقل قوله ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/١٤٣) المجلد السادس.

لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴿٤٧﴾ أي لو كانوا يريدون ويحبون الخروج معك للغزو لتأهبوا للسفر فتركهم الاستعداد دليل على إرادتهم التخلف، ولكن كره الله انباعثهم أي خروجهم معك، فثبطهم: أي ثقل عليهم الخروج حتى استخفوا القعود في منازلهم وتركوا الخروج فخذلهم الله، وإنما كان هذا الثقل والحبس والتثبيط عن الخروج لعلم الله سبحانه بنفاقهم وغشهم للإسلام وأهله، ولأنهم لو خرجوا مع المسلمين ضرورهم ولم ينفعوا، فخرجهم لمصلحة جند عدوهم.

قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾<sup>(١)</sup> أي لم يزيدوكم قوة، وإنما زادوكم فساداً وضراً وسعيًا بالنميمة والأراجيف، وجاء في سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ لما أمر الناس بالجهاد في غزوة تبوك ضرب رسول الله ﷺ عسكره على ثنية الوداع، وضرب عبدالله بن أبي بن سلول على جده أسفل من ثنية الوداع ولم يكن بأقل العسكرين فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبدالله بن أبي فيمن تخلف من المنافين وأهل الريب فأنزل الله يعزي نبيه ﷺ: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾<sup>(٢)</sup> الآيات ففي الآية تسلية للمؤمنين في تخلف المنافقين عنهم. وكان المنافقون إذا تخلفوا عن الجهاد اختلقوا لذلك أعذاراً شتى، ومن ذلك ما اعتذر به الجند بن قيس أحد رؤوس المنافقين حين تخلف من غزوة تبوك أن عذره الخوف من الافتتان بنساء الروم<sup>(٣)</sup>، فهو يضع نفسه

(١) سورة التوبة، الآية (٤٧).

(٢) أسباب النزول للواحدي (٢٤٧)، والبغوي في تفسيره (٢٩٨/٢)، كما أشار إليه ابن هشام في السيرة النبوية (١٦٢/٤).

(٣) رواه ابن إسحاق في السيرة (١٧٣/٢) و (١٥٩/٤)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥٢/١٠) المجلد السادس بإسناد ضعيف، والطبراني في الكبير (٦٣/١١) رقم (١١٠٥٣) و (١٢٢/١٢) رقم (١٢٦٥٤)، وضعفهما البيهقي في مجمع الزوائد (٣٣/٧)، كما رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢١٣/٥).

وعزاه السيوطي في لباب النقول ص (١١٨)، لأبي نعيم وابن مردويه وابن أبي حاتم.

في صورة الحريص على دينه الراغب في الخير وهو كاذب، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أٰذٰنَ لِيْ وَلَا تَفْتِنِّيْ ۗ ۝۱۱ ﴾<sup>(١)</sup>.

أي إذن لي أن لا أخرج معك ولا تبتليني برؤية بنات بني الأصفر فأفتتن بصباحة وجوههن فإني بالنساء مغرم فأخرج وأثم بذلك، ولم يكن به علة إلا النفاق.

قال تعالى: ﴿ اٰلَا فِيْ اَلْفِتْنَةِ سَقَطُوْۤا ۗ ۝۱۲ ﴾: أي: في الشرك والإثم والمعصية وقعوا وهو النفاق والتخلف عن النبي ﷺ قال سبحانه: ﴿ اِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُوْهُمۡ ۖ وَاِنْ تُصِيبَكَ مُصِیْبَةٌ یَّقُوْلُوْۤا قَدْ اٰخَذْنَا اٰمْرًا مِنْ قَبْلُ وَیَتَوَلَّوْۤا وَهُمْ فَرِحُوْنَ ۗ ۝۱۳ ﴾<sup>(٢)</sup>.

أي إن تصيبك غنيمة وفتح يحزنهم ذلك، وإن تصيبك سيئة من قتل وهزيمة يقولوا: قد أخذنا أمرنا من قبل أي احتطنا لأنفسنا وأخذنا حذرنا بالجزم في القعود عن الغزو وترك اتباع محمد إلى عدوه، ويتولوا وهم فرحون معجبون بذلك<sup>(٣)</sup>.

وفي موضع آخر من سورة التوبة يبين الله سبحانه لنبيه كيفية التعامل مع هؤلاء المنافقين المتخلفين بقوله تعالى: ﴿ فَاِنْ رَّجَعَكَ اللّٰهُ اِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاَسْتَفْذَنُوْكَ لِلخُرُوْجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوْا مَعِيَ اَبَدًا وَّلٰنْ تُفْتِنُوْۤا مَعِيَ عَدُوًّا اٰنْكَرَ رَضِيْتُمْ بِالْقُعُوْدِ اَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوْا مَعَ الْخٰلِفِيْنَ ۗ ۝۱۴ ﴾<sup>(٤)</sup>.

وكانت هذه الآية قد نزلت في المتخلفين عن غزوة تبوك يقول الله تعالى: فإن رددك الله يا محمد من غزوة تبوك إلى طائفة من هؤلاء المنافقين، فاستأذنوك للخروج معك في

(١) سورة التوبة، آية (٤٩).

(٢) سورة التوبة، آية (٥٠).

(٣) انظر: في تفسير الآية ابن جرير الطبري (١٠/١٣٧: ١٤٩) المجلد السادس، والبغوي (٢/٢٩٧-٢٩٨).

(٤) القرطبي (٨/٩٨: ١٠١)، وتفسير النسفي (٢/١٢٩)، وابن كثير (٢/٣٦١: ٣٦٣).

(٤) سورة التوبة، آية (٨٣).

غزوة أخرى فقل لهم: لن تخرجوا معي أبداً في سفر، ولن تقاتلوا معي عدواً في غزوة أخرى، ثم علل ذلك بقوله سبحانه: ﴿إِنْ كُنْزَ رَضِيْتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرْقَةٍ﴾ وذلك في غزوة تبوك.

فاقعدوا مع الخالفين: أي مع الذين قعدوا من المنافقين لأنكم منهم واعملوا مثل عملهم فإن الله قد سخط عليكم<sup>(١)</sup>.

ولم تكن الآيات لتقف عند ذلك بل جاءت آيات أخرى كثيرة تبين تخلف المنافقين عن الجهاد منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٣٨﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣٩﴾<sup>(٢)</sup>.

فهذه حال المنافقين إذا قيل لهم اغزوا المشركين مع رسول الله ﷺ استأذنتك ذوو الغنى والسعة والمال منهم في التخلف عن رسول الله والقعود في أهله، وقالوا ذرنا أي: دعنا نكن ممن يقعد في منزله مع ضعفاء الناس من النساء والصبيان ومرضاهم وممن لا يقدر على الخروج في السفر<sup>(٣)</sup>، وسبب ذلك أنهم إذا وقعت الحرب كانوا أجبن الناس.

ثم بعد هذه الآية بقليل يأتي قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٠﴾<sup>(٤)</sup>.

فضح الله في هذه الآيات أهل النفاق فإنهم ليسوا مثل الأعراب أهل الأعدار الذين

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠٣/١٠) المجلد السادس، والبغوي (٣١٦/٢)، وتفسير النسفي (١٣٩/٢)، وابن كثير (٣٧٩/٢).

(٢) سورة التوبة، آية (٨٦، ٨٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٠٧/١٠) المجلد السادس، والبغوي (٣١٨/٢)، والقرطبي (١٤٢/٨).

(٤) سورة التوبة، آية (٩٠).



جاءوا يعتذرون إلى رسول الله ﷺ بل إنهم ممن كذب الله ورسوله وقعدوا لم يأتوا إلى رسول الله ﷺ فيعتذروا، وقيل معنى الآية: وقعد آخرون من الأعراب عن المجيء للاعتذار وعن الخروج للجهاد.

﴿ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ : يعني المنافقين.

وقد أوعدهم الله بالعذاب فقال: سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم<sup>(١)</sup>.

ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَقْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن

يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

ذمهم الله سبحانه لأنهم يستأذنون ولا عذر لهم، بل هم أهل غنى وسعة، فهؤلاء إنما السبيل عليهم بالعقوبة لأنهم يستأذنون في التخلف وترك الجهاد وهم أهل قوة نفاقاً، وقد رضوا بأن يجلسوا مع النساء وهن الخوالف خلف الرجال في البيوت ويتركوا الغزو مع رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وفي سورة النور ذكر الله سبحانه تخلف المنافقين عن الحرب بقوله: ﴿ إِنَّمَا

الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا

حَتَّىٰ يَسْتَفْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَفْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا

أَسْتَفْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ

(١) انظر: تفسير الطبري (٣١٨/١٠) المجلد السادس، والبغوي (٢/٢٠٩)، والقرطبي (٨/١٤٣)، وابن

كثير (٢/٣٨٢).

(٢) سورة التوبة، آية (٩٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١/١١) المجلد السابع، والبغوي (٢/٣١٩)، وتفسير النسفي (٢/١٤١).

يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ  
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾

فهؤلاء المنافقون إذا كانوا مع رسول الله ﷺ يجمعهم حرب أو صلاة أو تشاور في أمر نزل ونحو ذلك انصرفوا محتفين عن رسول الله ﷺ فقال سبحانه: قد يعلم الله الذين يتسللون أي يخرجون، لوأذا: أي يستر بعضهم بعضاً ويروغ في خفية، وذلك لما فيهم من الجبن عن المواجهة والاستخفاف برسول الله ﷺ.

ومثال ذلك: ما كان يوم حفر الخندق<sup>(٢)</sup> حين كان المنافقون ينصرفون عن رسول الله ﷺ مختفين، وقد ذكر ابن إسحاق (ت ١٥٢هـ) قصة ذلك وهي أنه لما سمع رسول الله ﷺ بما أجمعت عليه الأحزاب، ضربَ الخندق على المدينة وعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر، وعمل معه المسلمون فدأب فيه ودأبوا، وأبطأ عن رسول الله وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين، وجعلوا يُورُون أي: يستترون بالضعيف من العمل، ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن<sup>(٣)</sup>.

والمنافقون حين يتخلفون عن المعركة قد يعتذرون كذباً بأن بيوتهم عورة عرضة للسراق لا أحد يحرسها، فهي بحاجة إليهم كما حدث يوم غزوة الخندق قال تعالى حاكياً ما فعلوه: ﴿ وَاسْتَفْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ ﴿٤﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَبَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنزَلْنَا وَمَا تَلْبَثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿٥﴾، فقد كان بعضهم يستأذن رسول الله ﷺ في الانصراف إلى منزله وهو يريد

(١) سورة النور، آية (٦٢، ٦٣).

(٢) كان ذلك يوم الأحزاب عام خمس من الهجرة. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٩٣/٤).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢٢٦/٣ و ٢٢٧).

(٤) سورة الأحزاب، آية (١٣، ١٤).

الهرب من المعركة<sup>(١)</sup> ويتعلل بأعذار واهية كاذبة، ففي هذه الآية يذكر الله عنهم قولهم إن سبب انسحابهم من المعركة: خوفهم على بيوتهم، فإنها خالية، قصيرة الجدران، قريبة من العدو، فهم يخشون دخول السراق عليها واعتذارهم هذا سببه ما في نفوسهم من الخوف من رسول الله ﷺ يريدون رضاه.

لكن الله فضح أمرهم وكذبهم فقال: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ أي ما يريدون إلا الفرار ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبُّوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ أي: إن الكفار الذين يريدون قتالهم، وهم الأحزاب، لو دخلوا عليهم المدينة من نواحيها، ثم سألوهم أن يكفروا، لكفروا وما احتبسوا عن الفتنة إلا قليلاً، ولأسرعوا إلى الشرك طيبة به نفوسهم، وقد كان هؤلاء المنافقون عاهدوا الله قبل غزوة الخندق أن يقاتلوا مع رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾.

وقد ذكر الطبري في تفسيره<sup>(٢)</sup>: أنهم غابوا عن غزوة بدر ورأوا ما أعطى الله أصحاب بدر من الكرامة، فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن، فساق الله ذلك إليهم حتى كان في ناحية المدينة.

وقيل: بل هم بنو حارثة الذين هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بني سلمة فلما أنزل الله فيهم قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup> عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها<sup>(٤)</sup>.

(١) ومن هؤلاء أوس بن قطيظ. وقد ذكر قصته هذه ابن هشام في السيرة (١٧١/٢)، والبيهقي في الدلائل (٤٣٣/٣ و ٤٣٥ و ٤٥٢).

(٢) تفسير الطبري (١٣٧/٢١) المجلد الحادي عشر.

(٣) سورة آل عمران، آية (١٢٢).

(٤) ذكره ابن هشام في السيرة (٢٥٨/٣)، والبخاري في تفسيره (٥١٧/٣).

ثم قال الله - ﷻ - : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتُّونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿١٧﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ﴿١٧﴾<sup>(١)</sup>.

أي: إن الفرار لا ينفع صاحبه، لأن من حضر أجله مات، أو قتل كما سبق في قدر الله، ولا ينفعكم الفرار من القتل، ولا يزيد في آجالكم.

ولما أراد رسول الله ﷺ أن يسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً، استنفر من حول المدينة من الأعراب، وأهل البوادي، ليخرجوا معه، حذراً من قريش أن يعرضوا له بحرب، أو يصدوه عن البيت، فأحرم بالعمرة وساق معه الهدي، ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً، فتناقل عنه كثير من الأعراب، وقال بعضهم: أنذهب معه إلى قوم جاؤوه فقتلوا أصحابه فيقاتلهم في ديارهم، فاعتلوا بالفشل وتخلفوا فأنزل الله فيهم هذه الآيات: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ ﴿١٧﴾<sup>(٢)</sup> أي: سيقول لك الذين خلفهم الله -

ﷻ - عن صحبتك ﴿ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ يعتذرون إلى رسول الله ﷺ بشغلهم، وسألوا رسول أن يستغفر لهم، وذلك منهم على وجه المصانعة والتقية، لا عن عقيدة يقين وإيمان، ولذلك قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ ولذلك لا يبالون أستغفر لهم النبي ﷺ أم لا، وهؤلاء المنافقين يظنون أن التخلف يدفع عنهم الضر

(١) سورة الأحزاب، آية (١٦، ١٧).

(٢) سورة الفتح، آية (١١).

فبين لهم تعالى أنه سبحانه إن أراد بهم شيئاً من ذلك لم يقدر أحد على دفعه<sup>(١)</sup>. وباستقراء الآيات السابقة في تخلف المنافقين عن الجهاد نجد أن أعدارهم الكاذبة ترجع في جملتها إلى أحد أمور هي:

- ١- عدم توقع حصول قتال.
- ٢- عدم مناسبة زمن القتال ككونه في شدة الحر مثلاً.
- ٣- خوف الوقوع في الشر والفتنة بسبب القتال، كخوف الافتتان بنساء الروم إن ذهبوا لقتالهم.
- ٤- الضعف وعدم القدرة على الجهاد.
- ٥- حاجة بيوتهم إليهم لعدم وجود من يحرسها من السراق.
- ٦- الانشغال بالمال والأهل.

#### المبحث الثالث: تخذيل المسلمين عن القتال وتثيبتهم:

يتخلف المنافق لجنبه عن القتال أو ينسحب من الجيش قبل بدء المعركة ولا يكتفي بذلك، بل يتمنى أن يكون بقية الجيش مثله، فهو يخذل الجند ويثبط همهم علمهم يتركون القتال فيكونوا سواءً في التخلف قال تعالى واصفاً حال هؤلاء المنافقين: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَغِيََ فَإِنْ أَصَبْتُمْ مِصْبَبًا قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقد وصفهم الله تعالى بأنهم من المؤمنين في قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ﴾ ومعنى ذلك أنهم من قومكم، ومن يتشبه بكم، ويظهر أنه من أهل دعوتكم ودينكم، وهو منافق يبطن من أطاع الرسول منكم عن الجهاد إذا نفرتم تقاتلون أعداء الله<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: تفسير الطبري (٧٧/٢٦) المجلد الثالث عشر، والبيهقي في الدلائل (١٦٥/٤)، والبنغوي

(٢) (١٩١/٤)، وابن كثير (١٩٠/٤)، وفتح القدير للشوكاني (٤٨/٥).

(٣) سورة النساء، آية (٧٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٦٥/٥) المجلد الرابع، وفتح القدير للشوكاني (٤٨٦/١).

قال البغوي في تفسيره في معنى يبطئن: أي يتأخرن ويتشاقلن عن الجهاد<sup>(١)</sup>. ولا مانع من كون كلا المعنيين مراداً، فإن المنافق يتخلف عن الجهاد يتباطأ هو في نفسه، ويبطئ غيره عن الجهاد، ويبطئ الناس عن الخروج.

كما ذكر الله هذه الصفة في موضع آخر من كتابه فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَرَضُّونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

بين هذه الصفة قوله في الآية: ﴿نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ ومعناها: ساعدناكم أيها الكفار في الباطن وما ألونا المؤمنين خبالاً وتخليلاً، حتى انتصرت عليهم وقهرتموهم، فنحن منعناكم منهم بتخليدنا إياهم حتى امتنعوا منكم فانصرفوا، ونحن الذين دفعنا عنكم صولة المؤمنين بتخليدنا لهم، وبما فعلناه من مراسلتنا إياكم بأخبارهم وأمورهم، يمنون بهذا على الكافرين<sup>(٣)</sup>.

وفي غزوة الأحزاب كان المنافقون يحرضون الناس على التخلف عن رسول الله ﷺ قال تعالى واصفاً حالهم: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَفْتِدُنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٠﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوَّهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَيْسَرًا ﴿١١﴾﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَرَ<sup>(٤)</sup> وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٢﴾﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير البغوي (٤٥١/٥).

(٢) سورة النساء، آية (١٤١).

(٣) انظر: الطبري (٣٣١/٥) المجلد الرابع، والبغوي (٤٩٢/١)، وتفسير النسفي (٢٥٧/١)، (٢٥٨)، وابن كثير (٥٦٨/١).

(٤) سورة الأحزاب، الآيات (١٣)، (١٤)، (١٥).

وسبب نزول هذه الآيات: أنه حين نزلت الأحزاب حول المدينة كان المسلمون في غاية الجهد، فظهر حينئذ النفاق وكان المنافقون طائفتين:

الطائفة الأولى: قالت لأهل المدينة: ﴿يَأْهَلْ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ أي: يا أهل المدينة لا مكان لكم تنزلون فيه، أو لا إقامة لكم، فارجعوا، يجرضون الناس على التخلف عن رسول الله ﷺ والانسحاب من الحرب، يقولون للناس: ارجعوا أي اهربوا وفروا إلى منازلكم وبيوتكم واتركوا محمداً ﷺ وعسكره.

والطائفة الثانية: من المنافقين تستأذن في الانسحاب من المعركة في شدتها قال تعالى: ﴿وَيَسْتَفِذْنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ الآية، أي: يستأذن بعضهم رسول الله ﷺ في الانصراف إلى منزله وهو يريد الهروب من المعركة.

ثم عاد القرآن يذكر بهؤلاء المنافقين الذين لا يقاتلون ولا يريدون الناس أن يقاتل مع رسول الله فقال - ﷺ - : ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

أي: إنه سبحانه يعلم هؤلاء المشبطين للناس عن رسول الله ﷺ وقد روى الطبري بسنده<sup>(٢)</sup> أن هؤلاء ناس من المنافقين يقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه، إلا أكلة رأس، ولو كان لحمًا لالتهمهم - أي ابتلعهم - أبوسفیان وأصحابه دعوا هذا الرجل فإنه هالك.

وهؤلاء المنافقين يقولون لإخوانهم هلم إلينا: أي ارجعوا إلينا ودعوا محمداً فلا

(١) سورة الأحزاب، آية (١٨).

(٢) تفسير الطبري (١٣٩/٢١) المجلد الحادي عشر.

تشهدوا معه الحرب فإننا نخاف عليكم الهلاك<sup>(١)</sup>.

قال مقاتل: نزلت في المنافقين وذلك أن اليهود أرسلت إلى المنافقين وقالوا: ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه، فإنهم إن قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم أحداً وإنما نشفق عليكم أنتم إخواننا وجيراننا هلموا إلينا، فأقبل عبدالله بن أبي وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه، وقالوا: لئن قدروا عليكم لم يستبقوا منكم أحداً ما ترجون من محمد؟ ما عنده خير، ما هو إلا أن يقتل ههنا، انطلقوا بنا إلى إخواننا - يعني اليهود -. فلم يزد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيماناً واحتساباً<sup>(٢)</sup>.

ولما فتح رسول الله ﷺ مكة، ووعده أمته ملك فارس والروم، قال المنافقون واليهود: هيهات هيهات، من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك، ألم يكف محمداً مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم فأنزل الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ أَلْمَلِكِ تُوْتَى أَلْمَلِكِ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ أَلْمَلِكُ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ أَلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup> يريدون بقولهم هذا تشييط الناس وإضعاف همهم وعزائمهم<sup>(٤)</sup>.

فانظر إلى ولاء هؤلاء المنافقين لليهود كيف أصبحوا منفذين لخطط اليهود، يرون لليهود الغلبة، ولا يرون للمؤمنين قدراً ولا يظنون بهم خيراً، يسمعون أراجيف اليهود

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣٥/٢١) وما بعدها المجلد الحادي عشر، والبغوي (٥١٦/٣) وما بعدها، وابن كثير (٤٧٤/٣) وما بعدها، وفتح القدير للشوكاني (٢٦٩/٤).

(٢) تفسير البغوي (٥١٨/٣).

(٣) سورة آل عمران، آية (٢٦).

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٠٠)، وذكر نحوه ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب (٦٧٥/٢) وعزاه للعلبي.



ثم ينقلونها بحروفها للمؤمنين متأثرين بها ، مصدقين لها ، أما المؤمنون فهم ينظرون بنور الله ، قد ثبتهم الله لا يابهون بأقوالهم ولا يزيدهم ما سمعوه إلا قوة في إيمانهم .

ومن أساليب هؤلاء المنافقين في التشبيط والتخذيل : الخوض في الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب الناس وتخويفهم من الكفار ومن ثم سماهم الله سبحانه المرجفين قال تعالى : ﴿ لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١) .

وأصل الرجف : الحركة والاضطراب (٢) .

والمنافقون هم أهل الإرجاف في المدينة بالكذب ، وأرجف القوم إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن ، والمرجفون هم الذين يولدون الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب الناس (٣) .

وقد كان المنافقون يقولون : أتاكم عدد وعدة ، جاء الأعداء وجاءت الحرب ، يرجفون برسول الله ﷺ وبالمؤمنين (٤) .

وقد ذكر البغوي أن أناساً من المنافقين كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله ﷺ يوقعون في الناس الرعب (٥) .

وأخرج ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) عن جابر بن عبد الله قال : جعل المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبي ﷺ أخبار السوء يقولون : إن محمداً وأصحابه قد جهدوا

(١) سورة الأحزاب ، آية (٦٠) .

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/٢٠٣) (رجف) .

(٣) انظر : لسان العرب (٣/٥٩٦) (رجف) .

(٤) انظر : تفسير الطبري (٢٢/٤٨) المجلد الثاني عشر ، وتفسير البغوي (٣/٥٤٤) ، وتفسير النسفي

(٣/٣١٣) ، ابن كثير (٣/٥٢٠) .

(٥) تفسير البغوي (٣/٥٤٤) .

في سفرهم ، وهلكوا ، فبلغهم تكذيب حديثهم وعاقبة النبي ﷺ وأصحابه فساءهم ذلك فأَنْزَلَ اللهُ: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ (١) (٢).

وحين أراد رسول الله ﷺ أن يغزو الروم في غزوة تبوك بلغه أن ناسًا من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي يشبطون الناس عن الجهاد ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ نفرًا من أصحابه وأمرهم أن يحرقوا عليهم بيت سويلم (٣).

والمنافق يحاول جاهدًا إقناع المسلمين بأن ما رآه من التخلف عن القتال هو الحق الذي تؤيده الأدلة العقلية ليثبطهم عن القتال ، مع أن المؤمن إذا نظر إلى ما يذكره هذا المنافق من علل وجدها لا تساوي في ميزان الحق شيئًا.

ومن أمثلة ما يذكره المنافقون ويرددونه من علل راجين أن يجدوا آذانًا صاغية وقلوبًا ضعيفة تتبعهم في التخلف :

أ- خوفهم من الهزيمة وما يتبعها من ظهور المشركين عليهم ، فيريدون أن يكون لهم يد عند الكفار عند الحاجة إليهم قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ (٤).

والذين في قلوبهم مرض : هم المنافقون وهم الذين يسارعون في موالة ومصانعة المشركين واليهود والنصارى ومناجاتهم ومناصحتهم وموادتهم ومعابرتهم في الظاهر

(١) سورة التوبة ، آية (٥٠).

(٢) لباب النقول للسيوطي ص(٢٢٨).

(٣) روى هذا الأثر عن رسول الله ﷺ ابن هشام في السيرة (٤/١٦٠) ، وإسناده ضعيف لجهالة شيخ ابن هشام وشيخه ، وأحمد بن عمرو بن الضحاك في الأحاد والمثاني (٤/٤) ، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٣/٥).

(٤) سورة المائدة ، آية (٥٢).

والباطن<sup>(١)</sup>.

ب- السبب الثاني الذي يذكره المنافقون وقد يتأثر به بعض المؤمنين هو عدم مناسبة الزمان للقتال.

قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢١﴾﴾<sup>(٢)</sup>، وكان سبب نزول هذه الآية ما قاله المنافقون حين خرج رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وكان ذلك زمان شدة الحر وطيب الظلال والثمار يقولون: لا تجاهدوا زمان شدة الحر<sup>(٣)</sup>. وقد كان هذا منهم زهادة في الجهاد، وشكاً في الحق وإرجافاً برسول الله ﷺ وأصحابه.

ج- والسبب الثالث: الذي يريدون إقناع الناس به، ليركوا الجهاد هو التخويف والترهيب من قوة العدو التي لا يطيقها المسلمون، ومثال ذلك قولهم للمسلمين حين أراد رسول الله ﷺ قتال الروم في تبوك: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً! والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الجبال. فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴿٤﴾﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٧٩/٦) المجلد الرابع، والبنغوي (٤٤/٢)، وتفسير النسفي (٢٨٨/١)، وابن كثير (٦٩/٢).

(٢) سورة التوبة، آية (٨١).

(٣) انظر: الطبري (٢٠١/١٠) المجلد السادس، والبيهقي في الدلائل (٢١٤/٥ و٢٨١)، وتفسير ابن كثير (٣٧٧/٢).

(٤) سورة التوبة، آية (٦٥).

(٥) السيرة النبوية لابن هشام (١٦٨/٤)، كما روى نحوه الطبري في تفسيره (١٧٢/١٠ و١٧٣) المجلد السادس.

المبحث الرابع: الخوف والهلع عند ذكر نية القتال وظهور علاماته ظاهرة عليهم: المنافقون أجبن خلق الله يخافون الموت ولا يطيقون ذكر القتال وإذا جاء الكلام عنه والعزم عليه نظروا إلى المتكلم محدقين شاخصة أبصارهم كما ينظر المغشي عليه عند الموت هلعًا وجبنًا أن يؤمروا بقتال.

وكانت أشد سور القرآن عليهم السورة التي يذكر فيها القتال يقول تعالى واصفًا حالهم: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ<sup>ط</sup> فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنِّسَةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ<sup>ع</sup> أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ<sup>ع</sup> وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾<sup>(١)</sup>.

فهم عند البأس جبناء، إذا جاء القتال هابوا الهلاك والقتل هيبة من لا يرجو ما بعده. وقريب من معنى هذه الآية قوله تعالى واصفًا حال المنافقين: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَنْظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ<sup>ط</sup>﴾<sup>(٢)</sup>.

كان المنافق إذا نزلت سورة يذكر فيها الأمر بقتال المشركين ينظر إلى رسول الله ﷺ شزراً بتحديق شديد، كما ينظر الشاخص بصره عند الموت، كراهية للجهاد وجبنًا من أن يأمرهم بالجهاد<sup>(٣)</sup>، وسبب خوفهم أن المسلمين أشد رهبة في صدورهم من الله قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ

(١) سورة الأحزاب، آية (١٩).

(٢) سورة محمد، آية (٢٠).

(٣) انظر: الطبري (٥٤/٢٦) المجلد ١٣، والبقوي (١٨٣/٤)، وتفسير النسفي (١٥٣/٤)، وابن كثير

(١٧٩/٤).

إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِن أُخْرِجُوا لَا تَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصَرُّوْنَ ﴿١٢﴾ لِأَنَّتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّكُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ ﴿١﴾

وقد كان سبب نزول هذه الآية ما وعد به عبدالله بن أبي وأحزابه يهود بني النضير ويهود بني قريظة بمساعدتهم، وقد كذبوا في ذلك فلم يفعلوا شيئاً مما وعدوا به. والسبب في ذلك هو: خوف هؤلاء المنافقين، والخائف لا يتصر. قال تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ فالمنافق يخاف من المؤمنين أكثر من خوفه من الله تعالى، وهم من جنهم وخوفهم لا يقدر على مواجهة المقاتلين المسلمين، فقتلهم إما في حصون أو من وراء جُدُر إذا اضطروا للقتال<sup>(١)</sup>.

#### المبحث الخامس: ادعاء الطاعة عند الأمر بالقتال مع العمل بخلافها:

المنافقون يظهرون بألستهم الموافقة والطاعة لقادتهم ليأمنوا على دمائهم، فإذا خرجوا من عندهم غيروا ما قالوه، وخالفوا العهد وخانوا، وعقدوا اجتماعات سرية يتفقون فيها على الخيانة. قال تعالى مخبراً عنهم فاضحاً حالهم: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٢١﴾<sup>(٢)</sup> فالله يخبر عنهم أنهم يظهرون بألستهم الطاعة والموافقة لرسول الله ﷺ فيقولون: إنا آمنة بك فمرنا فأمرك طاعة، فإذا خرجوا من عند رسول الله ﷺ غيروا ما قالوه له، وخانوه، واستسروا ليلاً بغير ما أظهروه وهذا شأن

(١) سورة الحشر، الآيات (١١، ١٢، ١٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤٥/٢٨) المجلد ١٤، والبنغوي (٣٢١/٤)، وابن كثير (٣٤١/٤)، وفتح القدير للشوكاني (٢٠٤/٥).

(٣) سورة النساء، آية (٨١).

المنافق يخالف ظاهره باطنه يظهر الطاعة ويبطن المعصية.

والله يكتب ما يبيتون فهو يعلمه، ويكتبه، وسيجزئهم عليه، وهذا تهديد من الله لهم وتخويف، وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالإعراض عنهم وترك عقابهم، والتوكل عليه سبحانه وكفى به وكيلًا وناصرًا يقول سبحانه: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

المبحث السادس: الرغبة في الخروج مع المسلمين إن علموا أن القتال يسير طمعًا في الغنيمة:

يخاف المنافق القتال والحرب ويهرب منه، لكنهم إن تركوا فلم يؤمروا بالخروج لتهربهم منه دومًا، أو لقلّة نفعهم وكثرة فتنهم، جاءوا يطلبون الخروج مع المسلمين، ولا يكون ذلك إلا إذا علموا أن القتال يسير إما لضعف العدو أو لكثرة أعداد المسلمين مقارنة بعدوهم أو لغير ذلك، فهم لحبهم الدنيا يؤملون الغنائم وقد ذكر الله سبحانه صفتهم هذه في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وذلك أن المنافقين لما رأوا شدة الحر وبعد المسافة في غزوة تبوك، تخلفوا عن رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية موبخًا لهم مبيّنًا أن السفر لو كان قريبًا سهلًا، والغنيمة قريبة المتناول حاضرة، لخرجوا معك، أما قولهم لما جاءوا يعتذرون إلى رسول الله ﷺ فهو

(١) انظر: الطبري (١٧٧/٥) المجلد الرابع، والبعثي (٤٥٥/١)، وتفسير النسفي (٢٣٨/١)، وابن كثير

(١/٥٣٠).

(٢) سورة التوبة، آية (٤٢).

مجرد كذب لأنهم كانوا مستطيعين<sup>(١)</sup>.

ولما رجع المسلمون من غزوة بني المصطلق<sup>(٢)</sup> فقدت راحلة رسول الله ﷺ فسعى لها الرجال يلتمسونها فقال رجل من المنافقين كان في رُفْقَةٍ من الأنصار: أين يسعى هؤلاء؟ قال أصحابه: يلتمسون راحلة رسول الله ﷺ ضَلَّتْ، فقال المنافق: أفلا يحدثه الله بمكان راحلته؟ فأنكر عليه أصحابه ما قال. وقالوا: قاتلك الله، نافقت فلم خرجت وهذا في نفسك؟ قال: خرجت لأصيب عرضاً من الدنيا<sup>(٣)</sup>.

وقد سأل المنافقون رسول الله ﷺ السماح لهم بالخروج معه إلى خيبر لما أملوا من الغنائم، لكن رسول الله ﷺ لم يأذن لهم، لأن غنائم خيبر كانت خاصة بمن ذهب مع رسول الله ﷺ إلى مكة معتمراً، وكان المنافقون حينئذ قد تخلفوا عنه، وقد وعد الله المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية فتح خيبر، وجعل الله غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة، عوضاً عن غنائم أهل مكة فإنهم انصرفوا على صلح ولم يصيبوا منهم شيئاً.

فلما رأى المنافقون أن الله وعد رسوله مغنم كثيرة عجلت له منها خيبر طلبوا الخروج قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُواهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونُنَّ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾<sup>(٤)</sup>.

فالمخلفون هم الذين تخلفوا عن عمرة الحديبية، سيقولون إذا انطلقتم إلى مغنم خيبر: ذرونا نخرج معكم، بعد أن تخلفوا وقت محاربة الأعداء ومصابرتهم، فأمر الله

(١) انظر: الطبري (١٤١/١٠) المجلد السادس، وابن كثير (٣٦١/٢).

(٢) غزوة بني المصطلق هي غزوة المريسيع كانت في شعبان سنة ست من الهجرة.

انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣٠٢/٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٥٦/٤).

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٦٠/٤).

(٤) سورة الفتح، آية (١٥).

رسوله ﷺ ألا يأذن لهم عقاباً لهم من جنس ذنبهم.

ومعنى قوله تعالى: ﴿ كَذَّبِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي هكذا قال الله لنا أن غيمة خبير لمن شهد الحديبية<sup>(١)</sup>.

المبحث السابع: سوء الظن بالله - تعالى - :

المنافق مقطوع الصلة بالله، لا يعلم ما يعلمه المؤمنون من الثقة بنصر الله وحكمته البالغة سبحانه، ولذلك يسوء ظنه بربه، لأنه يقيس الأمور بظواهرها المادية بعيداً عن الإيمان بالقضاء والقدر، ثم يبنى تصوره وأحكامه، فكلما بدت ظواهر توحى بالشر أو الفساد للمؤمنين المجاهدين توقع ذلك وترقبه، فلا ثقة عنده بنصر الله وقدرته وتدبيره الخفي للأمور، يظن أن الله يخذل نبيه وجنوده المتقين ويُعلي أهل الكفر عليهم، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُغلب وأن أصحابه يستأصلون، وأن المؤمنين يذهبون بالكلية، فهو شاك في ربه العليم القدير يخفي هذا كله في نفسه لكن الله يظهره على فلتات لسانه إذا جاءت الحرب.

وقد ظهر سوء ظن المنافقين بالله واضحاً يوم الأحزاب حين أيقنوا الهزيمة، وتوقعوا ظهور المشركين واستيلاءهم على المدينة، وقتل رسول الله ﷺ وذهاب الإسلام قالوا: ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً.

قال تعالى مصوراً حالهم: ﴿ يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ إِذْ جَاءَوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۖ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝ وَإِذْ يَقُولُ

(١) انظر: تفسير الطبري (٨٠/٢٦) المجلد ١٣، والبقوي (١٩٢/٤)، وابن كثير (١٩٠/٤)، وفتح القدير للشوكاني (٤٨/٥).



الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١١﴾<sup>(١)</sup>.

ففي يوم الخندق (الأحزاب) ابتلي المؤمنون وحوصروا قريباً من شهر، واشتد الخوف، وظن المسلمون كل ظن، وأتاهم أعداؤهم من فوقهم ومن أسفل منهم، ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال بعضهم: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط<sup>(٢)</sup>.

وقد وصف الله خوف الناس في هذه الآية بقوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾<sup>(٣)</sup>.

أي: شخصت الأبصار ونبت القلوب عن أماكنها من الخوف والفرع فبلغت الحناجر، وتظنون بالله ظنوناً مختلفة كان بعضها ظنوناً كاذبة، كظن من ظن أن رسول الله ﷺ يهزم وأن أصحابه يقتلون ويذهبون كلهم، وأن ما وعد الله رسوله من النصر لا يكون ونحو ذلك.

ومنها: ظنون حسنة صادقة.

فأما المؤمنون فأيقنوا أن ما وعدهم الله حق، وأنه سيظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون. ففي هذا اليوم ابتلي المؤمنون ومُحصوا ليتبين ويظهر المخلص من المنافق وزلزلوا زلزلاً شديداً أي حركوا بالفتنة، وفي هذا اليوم قال المنافقون: ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر الله سبحانه هذه الصفة للمنافقين في قوله تعالى: ﴿لِيُدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) سورة الأحزاب، الآيات (٩، ١٠، ١١، ١٢).

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (١٦٩/٢)، وذكر الطبري (١٣٣/٢١) المجلد ١١ عدة روايات في هذا المعنى، كما رواه البيهقي في الدلائل (٤٢٠/٣) و (٤٣٥).

(٣) انظر: الطبري (١٢٩/٢١) وما بعدها المجلد ١١، والبيهقي (٥١٦/٣).

وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ<sup>١</sup> وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ<sup>٢</sup> وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١﴾<sup>(١)</sup>، كان ذلك يوم الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ففتح الله فتحًا مبينًا، وقد كان هذا الفتح والنصر على مشركي قريش عذابًا للمنافقين والمنافقات، فكبتوا وحزنوا وخاب رجاؤهم الذي كان يرجون، وهو رؤية الوهن والضعف في المؤمنين وكانوا يظنون بالله أنه لن ينصر رسوله والمؤمنين على أعدائهم، ولن يعلي كلمته ويظهرها، ولن يجعل كلمة الكافرين السفلى لسوء ظنهم بالله، فجعل الله دائرة العذاب تدور عليهم بالعذاب والهلاك، وقد بينت الآية أن سوء الظن بالله صفة مشتركة بين المنافقين والمشركين<sup>(٢)</sup>.

ثم يقول سبحانه بعد هذه الآية بقليل مخاطبًا الأعراب المنافقين الذين يعتذرون إلى رسول الله وقد كانوا تخلفوا عن القتال معه: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ<sup>٣</sup> قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْعًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٣﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الفتح، آية (٥، ٦).

(٢) انظر: الطبري (٧٣/٢٦) المجلد ١٣، والبنغوي (٤/١٩٠)، وتفسير النسفي (٤/١٥٧)، وابن كثير (٤/١٨٥).

(٣) سورة الفتح، آية (١٢، ١١).

أي أن سبب تخلفكم ليس من أجل أموالكم وأهليكم، بل ظناً منكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه سيهلكون فلا يرجعون إليكم أبداً، لأن العدو سيستأصلهم وزين الشيطان وحسن ذلك في قلوبكم، وصححه عندكم حتى حسن عندكم التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعدتم عن صحبته<sup>(١)</sup>.  
 وقريب من معنى هذه الآيات قوله تعالى: ﴿بَشِيرِ الْمُتَنَفِّقِينَ بِأَنْ هُمْ عَدَاِبَا أَلِيمًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿٣٩﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

فالمنافق لسوء ظنه بربه يظن أن القوة والعزة عند الكفار أعداء الله، فهو يتخذهم أنصاراً وأخلاء وبطانة من دون المؤمنين، وهو معهم في الحقيقة ويُسر إليهم بالموعدة، يقول سبحانه: أيبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ؟ أَيُطَلَّبُونَ عِنْدَهُمُ الْمُنْعَةَ وَالْقُوَّةَ بِاتِّخَاذِهِمْ إِيَّاهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَقَدْ نَسِيَ هَذَا الْمُنَافِقُ أَنَّ الْعِزَّةَ إِنَّمَا تَأْتِي مِنَ ذِي الْعِزَّةِ وَالْمُنْعَةَ الَّذِي يَعْزُ مِنْ يَشَاءُ وَيَذَلُّ مِنْ يَشَاءُ، وَقَدْ جَعَلَهَا سُبْحَانَهِ فِي الْمُؤْمِنِينَ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُتَنَفِّقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>.

المبحث الثامن: توقع انتصار الكفار وهلاك المسلمين وانتظار ذلك:

لما كان المنافق يظن أن العزة والقوة للكافرين نراه يترصد وينتظر انتصارهم وهلاك المؤمنين المجاهدين الصابرين، وزوال دولتهم، وذهاب ملتهم، وذلك لما تكنه نفوسهم للمسلمين من شر، قال تعالى واصفاً حالهم: ﴿الَّذِينَ يَتَرَتَّبُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ

(١) انظر: الطبري (٧٨/٢٦) المجلد ١٣، ودلائل النبوة للبيهقي (١٦١/٤).

(٢) سورة النساء، آية (١٣٨، ١٣٩).

(٣) سورة المنافقون، آية (٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣٢٩/٥) المجلد الرابع، وتفسير النسفي (٢٥٩/٤)، وابن كثير (٥٦٧/١).

لَكُمْ فَتَحْ مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ<sup>٤</sup> قَالَ اللَّهُ سَخِمَ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ<sup>٥</sup> وَلَنْ تَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١١﴾<sup>(١)</sup>.

ومعنى يترصون بكم: أي ينتظرون<sup>(٢)</sup>.

وفي موضع آخر يقرر الله هذه الصفة بقوله سبحانه: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرْتَضِ بِكُرِّ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ ذَاتُ أَيْرَ السُّوءِ<sup>٦</sup> وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

فهؤلاء الأعراب المنافقون يعدون نفقاتهم التي ينفقونها في الجهاد، أو في معونة المسلمين مغرمًا: أي غرمًا لزمهم لا يرجون له ثوابًا، ولا يدفعون به عن أنفسهم عقابًا، فهم ينفقون خوفًا ورياءً، وأصل المغرم: التزام ما لا يلزم، والمنافق مع هذا ينتظر بالمؤمنين الحوادث والآفات، وأن تدور بهم الأيام والليالي إلى مكروهه، وأن يتقلب الزمان عليهم فيموت الرسول صلى الله عليه وسلم ويظهر المشركون، وما علم أن دائرة السوء منعكسة عليه، وعلى جميع المنافقين. فإله سبحانه جعل دائرة السوء على المنافقين فالمكروه ينزل بهم لا على المؤمنين، فهو السميع العليم سبحانه بمن يستحق النصر ومن يستحق الخذلان<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة النساء، آية (١٤١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٣١/٥) المجلد الرابع، البغوي (٤٩١/١).

(٣) سورة التوبة، آية (٩٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٤/١١) المجلد السابع، والبغوي (٣٢٠/٢)، وابن كثير (٢٨٤/٢)، وفتح القدير

للشوكاني (٢٩٥/٢) وما بعدها.

### المبحث التاسع: لزم المؤمنين والاستهزاء بهم وبما يعدونه للقتال من نفقة:

اللمز هو العيب، وعيب المؤمنين والاستهزاء بهم من صفات المنافقين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فلا يسلم أحد من المؤمنين من لزمهم وعيبيهم، حتى المتصدق في الحرب صدقة تطوع لم يوجبها الله عليه، فإن تصدق بكثير قالوا: يتصدق رياء وسمعة، وإن تصدق بشيء يسير ضحكوا منه وقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا. وسبب هذا الموقف منهم أنهم لا يدركون بواعث هذا الإحسان والتطوع في النفوس المؤمنة التي تحب التضحية والمشاركة، وتطمئن بالبذل عن طيب نفس ولما كان المنافق لا يعمل إلا للناس ولا ينفق إلا رياءً ظن أن الناس مثله.

وقد روى البخاري عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل -أي نؤاجر أنفسنا في الحمل- على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مرأى، وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، فنزلت الآية: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٢)(٣)</sup>.

وقد كان من المطَّوعين من المؤمنين في الصدقات عبدالرحمن بن عوف تصدق بأربعة آلاف دينار، وعاصم بن عدي<sup>(٤)</sup>، وذلك أن رسول الله ﷺ رغب في الصدقة وحث

(١) سورة البقرة، آية (١٤).

(٢) سورة التوبة، آية (٧٩).

(٣) رواه البخاري في التفسير (٣٣٠/٨)، ومسلم في الزكاة واللفظ له (٧٠٦/٢) رقم (١٠١٨).

(٤) عاصم بن عدي حليف الأنصار، شهد بدرًا وما بعدها، مات سنة (٤٥هـ). انظر: المعجم الكبير للطبراني (١٧١/١٧)، والإصابة (٢٣٧/٢).

عليها فقام عبدالرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف درهم، وقام عاصم بن عدي فتصدق بمائة وسق من تمر، فلمزوهما وقالوا: ما هذا إلا رياء، وكان الذي تصدق بجهده أبو عقيل<sup>(١)</sup>، أتى بصاع من تمر فأفرغه في الصدقة، فتضاحكوا به.

وقالوا: إن الله لغني عن صاع أبي عقيل<sup>(٢)</sup>، وقد كان أبو عقيل - ﷺ - يعمل ليحصل على صاعين أجرًا له، أحدهما لأهله، والآخر جاء به إلى رسول الله ﷺ فقال المنافقون عنه: إنما أراد أن يذكر بنفسه.

وقد كانت هذه النفقات في غزوة تبوك<sup>(٣)</sup>.

فالمنافقون يجرحون المكثر ويلمزونه لأنه بذل كثيراً، ويحتقرون الفقير لأنه بذل قليلاً، وهم قاعدون لا يبذلون، شحيحو الأنفس بخلاء، فجازاهم الله بأن سخر منهم<sup>(٤)</sup>.

#### المبحث العاشر: إفشاء أسرار المؤمنين الحربية:

الخيانة من صفات المنافقين التي لا تنفك عنهم، وتظهر هذه الصفة إذا جاءت الحرب، وحينئذ يحرص المنافقون على نشر الإشاعات التي تضعف المؤمنين المجاهدين، فتراهم يتسارعون في السؤال عن حال المجاهدين، فإذا سمعوا شيئاً عنهم خيراً أو شراً نشره قبل أن يذاع من مصادر رسمية، أو تحصل المصلحة من إعلانه للناس، وهذا نوع من الحرب المعنوية على جند المسلمين التي قد تضعفهم كثيراً خاصة في هذا الزمان التي أصبح انتشار الأخبار فيها سريعاً عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، وعن صفتهم هذه يقول الله سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْحَافٍ أَذَاعُوا بِهِ ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ

(١) أبو عقيل الأنصاري صحابي جليل اسمه حبباب وقيل حنثاث. الإصابة لابن حجر (١٣٦/٤).

(٢) رواه الطبري (١٩٦/١٠)، وذكره ابن إسحاق في سيرته (١٩٦/٤).

(٣) تفسير الطبري (١٩٥/١٠)، المجلد السادس، والواحد في أسباب النزول (٢٥٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩٤/١٠)، المجلد السادس، والبنغوي (٣١٤/٢)، وفتح القدير للشوكاني

(٣٨٥/٢).

الرُّسُولِ وَإِلَىٰ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾<sup>(١)</sup>

وكان سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ كان يبعث السرايا فإذا غلبوا وأمنوا من عدوهم، أو غلبوا وأصاب منهم عدوهم، أسرع المنافقون يسألون عن حالهم فيفشونه ويحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله ﷺ فيضعفون به قلوب المؤمنين. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿أذَاعُوا بِهِ﴾ أي أشاعوه، وأفشوه حتى يبلغ عدوهم أمرهم، يقول أحدهم: أصاب المسلمون من عدوهم كذا وكذا، وأصاب العدو من المسلمين كذا وكذا فأفشوه بينهم، وهذا فيه مفاسد منها:

رواج كثير من الأخبار الكاذبة التي لا أساس لها من الصحة، ومنها أن بعض الأخبار الحربية في كتمانها مصلحة لجند المسلمين حتى تكتمل خطتهم الحربية، وينالوا من عدوهم شيئاً كانوا يسعون له، كما حدث حين بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ -رضي الله عنه- وغيره يوم الأحزاب إلى يهود بني قريظة يناشدونهم في حلفهم، ويطلبون منهم عدم مساعدة قريش في حربها ضد المسلمين، فأبى اليهود فرجع سعد ومن معه حين يسوا منهم وأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي قالوا، فأمرهم رسول الله بكتمان خبرهم<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه الغزوة أيضاً قال رسول الله ﷺ لنعيم بن مسعود -رضي الله عنه-: «إني مسر إليك شيئاً فلا تذكره» وذكر له طلب اليهود الصلح، على أن يرد إخوانهم يهود بني النضير إلى دورهم.

(١) سورة النساء، آية (٨٣).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٤٠٣/٣).

والأمثلة في هذا كثيرة كلها تبين مصلحة كتمان الأخبار<sup>(١)</sup>.

ولو أن الناس ردوا هذه الإشاعات التي يسمعونها من المؤمنين أو المنافقين إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، لعلمه الذين يستنبطونه منهم أي: أمراؤهم في الحرب أولو الفقه في الدين والعقل، فهؤلاء يستخرجون تدبيره بفظنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها، فالواجب ألا يذيعوا ما جاءهم من الخبر حتى يكون النبي ﷺ أو قائدهم هو الذي يذكر هذا الخبر بعد أن تثبت صحته أو كذبه، ثم يعلنوا ما ينبغي أن يعلن، ويكتموا ما ينبغي أن يكتم، ولو فعلوا ذلك لعلم العلماء الذين يتتبعون الأخبار ويحرصون عليها حقيقة هذا الخبر الذي جاءهم<sup>(٢)</sup>.

وفي الآية إنكار على من يبادر إلى الأخبار فينشرها قبل تحققها وقد لا يكون لها صحة قال ﷺ: « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع »<sup>(٣)</sup>، وتوجيه إلى وسائل الإعلام في بلاد المسلمين بالرجوع إلى قادتهم، وتلقي الأخبار منهم دون غيرهم، والحذر من هذا الإشاعات التي تكيد للمسلمين وتضعفهم، وقد نهى ﷺ عن قيل وقال<sup>(٤)</sup> أي الذي يكثرون من الحديث عما يقوله الناس من غير تثبت.

#### المبحث الحادي عشر: إثارة القلاقل والخصومات بين أفراد الجيش:

من طبيعة المنافقين كثرة الخصومات وهم إذا خاصموا فجرؤا، وإذا جاءت الحرب التي تزيد من لحمة المسلمين وتعاطفهم طفق هؤلاء المنافقون يثيرون المشاكل ويختصمون مع المسلمين المخلصين لله دينهم يقول الله سبحانه عنهم: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَائِمٍ لِّتَأْخُذُواهَا ذُرُوتًا تَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَّن

(١) المرجع السابق (٤٠٥/٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨٠/٥٥)، المجلد الرابع، والبغوي (٤٥٦/١)، وتفسير النسفي (٢٣٩/١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه في المقدمة (١٠/١) الرقم (٥).

(٤) ورد ذلك في حديث صحيح رواه البخاري في الزكاة (٣٤٠/٣).



تَتَّبِعُونَا كَذٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِنْ قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونُنَّ ۗ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ ٱلْءِٔءَالَ قَلِيلاً ۗ ﴿١﴾

وسبب نزول هذه الآية أنه لما كانت عمرة الحديبية تخلف بعض الأعراب خوفاً من قريش أن تقاتل رسول الله ﷺ، فوعد الله من خرج مع نبيه بغنائم خبير وكانت بعد الحديبية بقليل، وعاقب سبحانه من تخلف من الأعراب بالحرمان من هذه الغنائم عقاباً لهم من جنس ذنبهم، فجادل هؤلاء الأعراب المنافقين بالباطل ولم يسلموا بحكم الله الذي يستحقونه وقالوا للمؤمنين لما أخبروهم بحكم الله: ﴿بَلْ نَحْسُدُونُنَّ﴾ أي: يمنعكم الحسد من أن نصيب معكم الغنائم.

وقد بين -ﷺ- سبب جدالهم هذا وخصومتهم وهو أنهم ﴿لَا يَفْقَهُونَ ٱلْءِٔءَالَ قَلِيلاً﴾ أي ليس الأمر كما زعموا ولكن القوم لا فهم لهم، فليس المنع سببه حسد المؤمنين بل حكم الله، والمنافق لا يعرف ما له وما عليه من أمر الدين إلا قليلاً يسيراً، ولو عقل ذلك ما قال للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لما أخبروهم بتحريم غنائم خبير عليهم: بل تحسدوننا<sup>(١)</sup>.

ومن الأمثلة على إثارة الفتنة والقلاقل بين جند المسلمين ما فعلوه لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك حين خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب على أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فأشاع المنافقون بين الناس أنه ما خلفه إلا استثقلاً له، وقد تأثر بهذا القول كثيرون، حتى إن علياً -ﷺ- خرج من المدينة ولحق برسول الله، ولقيه علي بعد ثلاثة أميال من المدينة فقال: يا نبي الله، زعم المنافقون أنك استثقلتني وتحففت مني،

(١) سورة الفتح، آية (١٥).

(٢) انظر: الطبري (٢٦/٨٠)، المجلد الثالث عشر، والبغوي (٤/١٩٢)، وابن كثير (٤/١٩٠)، وفتح

القدير الشوكاني (٤٧/٥).

فقال: « كذبوا ولكنني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي »، فرجع علي إلى المدينة<sup>(١)</sup>. فانظر إلى علي بن أبي طالب - عليه السلام - وهو من هو في العقل والفضل والصحبة كيف تأثر بقول هؤلاء المنافقين، وكاد يصدقه لولا ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف ببقية المؤمنين خاصة في هذا الزمان نسأل الله السلامة من كيد المنافقين.

### المبحث الثاني عشر: عدم الاستعداد للخروج للقتال:

يُعرف المنافق بأنه إذا جاء الأمر بالجهاد والقتال لا يريد الخروج، ويلاحظ عليه عدم أخذ العدة، أو تجهيز السلاح، في الوقت نرى فيه بقية المجاهدين يأخذون بالأسباب التي تعينهم على السفر والقتال، فإذا جاءت ساعة الرحيل افتعل المنافقون الأعذار قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

أي لو أراد هؤلاء الذين يستأذنون رسول الله ﷺ في ترك الخروج للجهاد - وكانوا من المنافقين - لو أرادوا الخروج مع المؤمنين للغزو لأعدوا له عدة، وتأهبوا للسفر والعدو، ولكن علم الله حالهم وكره خروجهم فمنعهم، وجبسهم من الخروج، وثقله عليهم وألهموا أسباب الخذلان<sup>(٣)</sup>.

(١) السيرة لابن هشام (١٦٣/٤)، والحديث رواه البخاري مختصراً في المغازي (١١٢/٨)، وفي فضائل الصحابة (٧١/٧).

(٢) سورة التوبة، آية (٤٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤٤/١)، المجلد السادس، والبيهقي (٢٩٨/٢)، وتفسير النسفي (١٢٨/٢)، وابن كثير (٣٦٥/٢).

المبحث الثالث عشر: الشح والبخل بالأموال والأنفس والممتلكات ومنع المسلمين من الاستفادة منها :

جمع المنافقون بين الكذب والجبن وقلة الخير، فلا يخرجون مع المؤمنين للقتال بخلاً بأنفسهم، ولا ينفقون شيئاً من أموالهم، ولو احتاج المسلمون إلى شيء مما يملكونه لبخلوا به ولو لم يكلفهم هذا شيئاً، كأن يحتاج الجند إلى المرور بأرض يملكها أحدهم فإنه يمنعهم ذلك. قال تعالى واصفاً بخلهم: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾<sup>(١)</sup>.

وكان هذا في غزوة تبوك حين كره المنافقون أن يغزوا الكفار بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، ميلاً منهم للدعة والراحة، وشحاً بالمال أن ينفقوه في طاعة الله، لأنهم لا يرجون ثوابه يوم الحساب لعدم إيمانهم به إيماناً جازماً<sup>(٢)</sup>.

وفي الآية الأخرى يقول سبحانه: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾<sup>(٣)</sup> أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ<sup>ط</sup> فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالْأَسِنَّةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ<sup>ط</sup> ﴾<sup>(٣)</sup>.

فوصفهم سبحانه بالشح مرتين، فهو سبحانه يحيط علماً بالمعوقين لغيرهم عن شهود الخير، وأنهم ﴿ أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ<sup>ط</sup> ﴾ أي: بخلاء بالخير، بخلاء بالنفقة في سبيل الله على ضعفاء المسلمين، بخلاء حتى بالمودة والشفقة عليكم، لما في أنفسهم من العداوة

(١) سورة التوبة، آية (٨١).

(٢) انظر: الطبري (٢٠٠/١٠)، المجلد السادس.

(٣) سورة الأحزاب، آية (١٨، ١٩).

والصُّغْنُ على المسلمين، ثم كررها سبحانه مرة أخرى فقال: ﴿أَشِحَّةٌ عَلَى الْخَيْرِ﴾ أي عند الغنيمة يشاحون المؤمنين، فهم في الحرب أجبن الناس، وعند الغنيمة أشح قوم، وأسوأ مقاسمة، يقولون: أعطونا أعطونا فإننا قد شهدنا معكم، وقد كانوا في الحرب أجبن قوم واخذله للحق<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن إسحاق في السيرة عن مِرْبَعِ بْنِ قَيْظِي الضَّرِيرِ فإنه ﷺ لما سار إلى أحد قال: «مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كَثْبٍ - أَي مِنْ قَرَبٍ - ، مِنْ طَرِيقٍ لَا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهِمْ» فقال رجل: أنا يا رسول الله، فمر به في حَرَّةِ بَنِي حَارِثَةَ وَبَيْنَ أَمْوَالِهِمْ، حَتَّى سَلَكَ فِي بَسْتَانٍ لِمَرْبَعٍ، فَلَمَّا سَمِعَ حَسَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قَامَ يَحْثِي فِي وَجْهِهِمُ التَّرَابَ وَيَقُولُ: إِنْ كُنْتُ رَسُولًا فَإِنِّي لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ فِي حَائِطِي، وَقِيلَ: إِنَّهُ أَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي لَا أَصِيبُ بِهَا غَيْرَكَ يَا مُحَمَّدَ لَضَرَبْتُ بِهَا وَجْهَكَ، فَابْتَدَرَهُ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهُ، فَهَذَا الْأَعْمَى أَعْمَى الْقَلْبِ وَأَعْمَى الْبَصِيرَةِ» وَهُوَ الَّذِي قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ: إِنْ بِيوتنا عورة<sup>(٢)</sup>.

**المبحث الرابع عشر: موالاة الكفار عامة واليهود خاصة ومحبتهم والمساواة فيهم:**

موالاة الكفار طبيعة المنافقين وصدقتهم الأولى ولو لم يكن من صفات المنافقين إلا هذه لكفت في معرفتهم لشدة وضوحها فيهم.

والموالاة أصلها: إظهار المودة بالأقوال والأفعال، وقد عرفها العلماء بأنها: متابعة غير المسلمين، ومحبتهم، والميل إليهم، ونصرتهم، ومصاحبتهم، ومصادقتهم،

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤٠/٢١، ١٤١)، المجلد ١١، والبغوي (٥١٨/٣)، وتفسير الشوكاني (٢٧٠/٤).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١٧٠/٢) و (٦٩/٣)، ولم أجده عند غيره.

ومناصحتهم، وإسرار المودة إليهم، وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم<sup>(١)</sup>.  
وقد قال رسول الله ﷺ: « أوثق عرى الإيمان المولاة في الله والمعادة في الله والحب في الله والبغض في الله »<sup>(٢)</sup>.

والمولاة محرمة بالإجماع، ومن تولى المشركين فهو مشرك، وقد أوجب الله سبحانه معادة الكفار وأكد إيجابه، وحرّم موالاتهم وشدد فيها، حتى إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم الشرك<sup>(٣)</sup>.

ولما كان قلب المنافق مملوءاً بحب الكافرين لم نجد فيه أي محبة للمؤمنين إذ كيف يجتمع في قلبه حبهم وحب من يخالفهم في كثير من الأمور قال تعالى: ﴿بَشِيرِ الْمُتَنَفِقِينَ بِأَنَّهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ <sup>(٤)</sup> الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَنَفُوتَ عِنْدَهُمْ أَلْعِزَّةَ فَإِنَّ أَلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿٣٨﴾<sup>(٤)</sup> فعلم بهذه الآية أن المنافقين هم أشد الناس ولاء للكفار وتشبهاً بهم.

ومولاة أعداء الله عامة واليهود خاصة عند المنافقين لها صور كثيرة منها ما ورد في كتاب الله وهو:

- أ - كثرة التردد عليهم والاتصال بهم يعدون الكفار بما يحتاجون إليه من مساعدة.
- ب - طاعتهم فيما حرم الله.

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٧١).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١١/٢١٥)، والطبائسي ص (٥٠)، والحاكم في المستدرک (٢/٤٨٠)، وصح إسناده وخالفه الذهبي، ونحوه عند الإمام أحمد في مسنده (٤/٢٨)، والحديث حسنه الألباني في الصحيحة (٢/٧٣٤).

(٣) بيان النجاة والفكاك لحمد بن عتيق ص (٢٥٧ و ٢٦٠).

(٤) سورة النساء، آية (١٣٨، ١٣٩).

وهذا بيان هذه الصور وتفصيل الكلام فيها:

أ- كثرة التردد عليهم، والاتصال بهم، يعدونهم بما يحتاجون من مساعدة: المنافقون إخوان الذين كفروا من أهل الكتاب، وعلاقتهم بهم وطيدة، تكثر بينهم الاجتماعات والاتصالات، وتكثر في هذه الاجتماعات الخيانات، فهم يعدون هؤلاء الكفار كذباً وزوراً بالقتال بجانبهم، ومناصرتهم ضد المسلمين، وبيئاء القواعد والمعاقل التي تنطلق منها جنودهم لحرب المسلمين.

يقول الله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَإِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠﴾ لَإِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَإِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَإِن نَصَرُوهُمْ لَيُؤْتُوا الْأَذْبَنَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد نزلت هذه الآية في عبدالله بن سلول وأصحابه الذين بعثوا إلى بني النضير، وبني قريظة، حين أراد رسول الله ﷺ قتالهم: أن اثبتوا وتمنعوا فإننا لن نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم من المدينة خرجنا معكم، ولا نطيع فيكم أحداً يسألنا خذلانكم وخلافكم<sup>(٢)</sup>.

ثم خذلهم المنافقون فلم يقاتلوا معهم، فعند ذلك قذف الله الرعب في قلوب هؤلاء اليهود فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم، وقد قال الله عن المنافقين: ﴿ وَإِن نَصَرُوهُمْ لَيُؤْتُوا الْأَذْبَنَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴾ أي: لو قصدوا نصر اليهود لولوا الأدبار منهزمين لأن من طبعهم الجبن والخوف.

ثم لا ينصرون أي: اليهود لن يغلبوا المسلمين إذا نصرهم المنافقون.

(١) سورة الحشر، آية (١١، ١٢).

(٢) ذكره ابن إسحاق في السيرة (١٧٣/٢) و(٢٠٠/٣ و٢٠٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (١٨١/٣).

وقد سمي الله المنافقين في هذه الآيات، إخوان الذين كفروا من أهل الكتاب لأنهم كفار مثلهم<sup>(١)</sup>.

أما بناء المعقل والقواعد لمساعدة الكفار في حربهم ضد المسلمين فيدل على قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَخْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا آلْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد نزلت هذه الآية في مجموعة من المنافقين، اتفقوا مع رجل يقال له: «أبوعامر الراهب» لبناء مسجد ينطلقون منه لقتال رسول الله ﷺ، وكان أبوعامر هذا رجلاً من الخزرج قد تنصر في الجاهلية، وكان فيه عبادة، وله شرف في الخزرج كبير، فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة بارزه بالعداوة، وخرج فاراً إلى كفار مكة يعينهم على حرب رسول الله ﷺ، ولما رأى أمر رسول الله ﷺ في ظهور وارتفاع، ذهب بعد أحد إلى هرقل الروم يستنصره على رسول الله ﷺ فوعده ومناه، فكتب إلى جماعة من قومه من المنافقين يذكر لهم أنه سيقدم بجيش كبير، يغلب به رسول الله ﷺ، وأمرهم ببناء معقل يخبئون فيه ما استطاعوا من قوة وسلاح، ويرسل إليه رسله، ويكون مرصداً إذا قدم بنفسه، فشرعوا في بناء مسجد الضرار بجوار مسجد قباء، وفرغوا منه قبل خروج رسول الله ﷺ إلى تبوك، ونزل الوحي على رسول الله ﷺ لما رجع إلى المدينة ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم، فبعث ﷺ إلى المسجد من هدمه وحرقه، فهم بنوا هذا المسجد مضارة للمؤمنين، وكفراً بالله، لمعادتهم بذلك رسول الله ﷺ، وليفرقوا به بين المؤمنين، وإرصاداً أي انتظاراً وإعداداً لمن حارب الله ورسوله وهو أبوعامر الراهب،

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٦/٢٨) المجلد ١٤، والبعوي (٤/٣٢١).

(٢) سورة التوبة، آية (١٠٧).

يقول الله: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ﴾ أي أنهم حلفوا ما أرادوا ببنائه إلا الرفق بالمسلمين، والتوسعة على أهل الضعف، ومن عجز عن السير إلى مسجد رسول الله ﷺ للصلاة فيه، والله يشهد إنهم لكاذبون في حلفهم ذلك<sup>(١)</sup>.

ومن صورها:

ب- طاعتهم فيما حرم الله:

بلغت حجة المنافقين للكفار أن قدموا طاعتهم على طاعة الله، فإن أشاروا عليهم بشيء فعلوه وإن كان فيه معصية لله، ومن ذلك إنهم لو طلب منهم الكفار ترك الجهاد في سبيل الله، وخذلان المؤمنين، أطاعوهم فهم أعوان في الباطن لأهل الباطل يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آرَتُوا عَلَىٰ آدْبُرِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

فهؤلاء المنافقون الله أملى لهم وتركهم، والشيطان سول وزين لهم القبيح، فلم يوفقوا للهدى، لأنهم قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله من الأمر بقتال أهل الشرك؛ سنطيعكم في بعض الأمر: الذي هو خلاف أمر الله سبحانه وأمر رسوله ﷺ، وهو التعاون على عداوة محمد ﷺ، والقعود عن الجهاد وكانوا يقولون هذا سرًا ولا يظهرونه للمسلمين، ففضحهم الله لأنه سبحانه يعلم إسرارهم<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٧٣/٤)، والطبري (٢٣/١١)، والبيهقي في الدلائل (٢٥٨/٥)، (٢٦٢)، والبخاري (٣٢٦/٢)، والقرطبي (١٦١/٨) وما بعدها، وابن كثير (٣٨٩/٢).  
والحديث رواه كما سبق الطبري والبيهقي وعزاه الشوكاني في فتح القدير (٤٠٤/٢) لابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه.

(٢) سورة محمد، الآيتان (٢٥ - ٢٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥٩/١٣) المجلد ١٣، والبخاري (١٨٤/٤)، وتفسير النسفي (١٥٤/٤)، وابن كثير (١٨١/٤)، وتفسير الشوكاني (٣٨/٥).



### الخاتمة:

الحمد لله الذي أعان على إتمام هذا البحث بمنه وكرمه، وقد كان من نتائجه وتوصياته:

- ١- بيان خطورة النفاق، والتحذير منه.
- ٢- أهمية أخذ العبرة من التاريخ ففيه بيان كيد هؤلاء المنافقين، وتعاونهم مع أعداء المسلمين وكثرة هذه الوقائع تدل على كثرة من يغتر بهم من المسلمين.
- ٣- تحذير قادة المسلمين، وقادة جيوشهم في كل زمان ومكان من المنافقين، ولو كان من سبقنا يعلم كيد المنافقين الذي حل بهم، ما قربوهم ولا تابعوهم، والحكمة تستدعي أخذ العظة من التاريخ.
- ٤- وضوح صفات المنافقين أزمنة الحروب، وهذا من رحمة الله سبحانه، فالحاجة لمعرفةهم في أزمنة الحروب تشتد ليحذر منهم تحقيقاً لمصلحة البلاد والعباد.
- ٥- على قادة جيوش المسلمين، وأفرادهم أن يعلموا أن المنافقين الخارجين معهم للقتال قوة لا يقام لها وزن، بل هي قوة لحساب أعدائهم، والخيانة متوقعة منهم.
- ٦- أهمية تدريب جند المسلمين على مواجهة كيد المنافقين وشبهاتهم، والاستعداد لها ومحاربتها، وهذا أعظم من الاستعداد بالأسلحة المادية.
- ٧- المنافقون يتعاونون مع جميع أعداء المسلمين، وتعاونهم مع اليهود وموالاتهم أشد، وهذه من أوضح الصفات التي يعرف المنافقون بها. والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسجبه وسلم.

\* \* \*

### ثبت المصادر والمراجع :

- ١- الأحاد والمثاني، أحمد بن عمرو بن الضحاك، أبو بكر الشيباني ت٢٨٧هـ، حققه د. باسم الجوابرة، دار الراجية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٢- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان ت٣٥٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ٣- أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ت٥٤٣هـ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- ٤- أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ت٤٦٨هـ، تحقيق عصام بن عبدالمحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
- ٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي ت٤٦٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٦- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٧- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير ت٧٧٤هـ، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.
- ٨- بيان النجاة والفكاك من موالات المرتدين وأهل الإشراك، حمد بن علي بن عتيق النجدي، ضمن مجموعة التوحيد، نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية.
- ٩- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير ت٧٧٤هـ، المكتبة التجارية، مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٧٦هـ.
- ١٠- التفسير القيم، ابن القيم محمد بن أبي بكر ت٧٥١هـ، جمعه محمد بن أويس الندوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- ١١- تفسير النسفي، عبدالله بن أحمد النسفي ت٧٠١هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٢- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ، دائرة المعارف، حيدر آباد، ١٣٢٥هـ.
- ١٣- جامع البيان في تفسير القرآن، تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري ت٣٠١هـ، دار الفكر،

- بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ١٤- جامع العلوم والحكم، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ت٧٩٥هـ، رئاسة إدارات البحوث العلمية، الرياض.
- ١٥- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي ت٦٧١هـ، أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ١٦- حاشية كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ت١٣٩٢هـ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
- ١٧- دلائل النبوة، أحمد بن الحسين البيهقي ت٤٥٨هـ، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ١٨- زاد المعاد، ابن القيم محمد بن أبي بكر ت٧٥١هـ، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، ١٤٠٥هـ.
- ١٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.
- ٢٠- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي ت٢٧٩هـ، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.
- ٢١- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي ت٧٤٨هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- ٢٢- السيرة النبوية، عبدالملك بن هشام ت٢١٨هـ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٣- شرح صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي ت٦٧٦هـ، تحقيق عبدالله أوزينة، كتاب الشعب.
- ٢٤- صفة النفاق وذم المنافقين، أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي، ت٣٠١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية.
- ٢٥- طريق المهجرتين، ابن القيم محمد بن أبي بكر، ت٧٥١هـ، المكتبة السلفية، القاهرة.
- ٢٦- العجائب في بيان الأسباب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ، تحقيق عبدالحكيم

- الأنيس، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- ٢٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ، دار المعرفة، بيروت.
- ٢٨- فتح القدير، تفسير الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٠ هـ، دار المعرفة، بيروت.
- ٢٩- فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ت ١٢٨٥ هـ، تحقيق عبدالقادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ.
- ٣٠- الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، ت ٤٢٩ هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت.
- ٣١- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد ت ٤٥٦ هـ، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ.
- ٣٢- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ت ٨١٧ هـ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.
- ٣٣- القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- ٣٤- لباب النقول في أسباب النزول، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١ هـ، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣ هـ.
- ٣٥- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، ت ٧١١ هـ، تحقيق عبدالله الكبير وآخرين، دار المعارف، مصر.
- ٣٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي ت ٨٠٧ هـ، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٦ هـ.
- ٣٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم ت ٧٢٨ هـ، جمعها عبدالرحمن ابن محمد القاسم، مكتبة ابن تيمية، الكتب السلفية.
- ٣٨- مختصر منهاج السنة النبوية، لابن تيمية أحمد بن عبدالحليم ت ٧٢٨ هـ، اختصره د. عبدالله الغنيمان، دار لينة، دمنهور، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ.

- ٣٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن القيم ت ٧٥١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- ٤٠- المستدرک، محمد بن عبدالله الحاكم ت ٤٠٥هـ، دار المعرفة، بيروت.
- ٤١- مسند الطيالسي، سليمان بن داود الطيالسي ت ٢٠٤هـ، دار المعرفة، بيروت.
- ٤٢- المسند، أحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ.
- ٤٣- المطالب العالية في زوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ت ٨٥٢هـ، تحقيق حبيب الرحمان الأعظمي، دار المعرفة، بيروت.
- ٤٤- معالم التنزيل، تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦هـ، تحقيق خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ٤٥- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني ت ٣٦٠هـ، تحقيق حمدي السلفي، الطبعة الثانية.
- ٤٦- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين ابن فارس ت ٣٩٥هـ، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٤٧- الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ت ٥٤٨هـ، تحقيق محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- ٤٨- النفاق وأثره في حياة الأمة، عادل بن علي الشدي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ٤٩- النهاية في غريب الحديث والأثر، مبارك بن محمد بن الأثير الجزري ت ٦٠٦هـ، تحقيق محمود الطناحي وظاهر الزاوي، نشر أنصار السنة المحمدية، باكستان.

\* \* \*